حرب غزة

وتطور الفكر والممارسة لدى المقاومة

أعداد

سلام الربضي

باحث ومؤلف في العلاقات الدولية

بيروت

خاص لموقع " اسلام تايمز "

لا يجوز النشر الا باسم الموقع

www.islamtimes.org/ar/

تواصلوا معنا عبر بريد الموقع

infoar@islamtimes.org

المقدمة

لقد أثبتت المقاومة في فلسطين بعد حرب غزة، أنها قد انتقلت في طبيعة عملها المسلح وتحديداً في الساحة الفلسطينية من عدم الارتباط باستراتيجية سياسية واضحة، إلى صاحبة رؤية ومنطق عمل إستراتيجي سواء على الصعيد العسكري أو السياسي. فمقارنة ما بين اجتياح إسرائيل لمخيم جنين ٢٠٠٢ وبين حرب غزة ٢٠٠٩ فارق كبير في مستوى العمل السياسي والعسكري، وهذا يحسب ويسجل لصالح المقاومة. فلقد تراجع وزن إسرائيل الإستراتيجى نتيجة فشلها المتكرر فى لبنان وغزة، ولم تعد هى القوة التى تحرس المنطقة، كذلك تقلص نفوذها. وقد عجزت إسرائيل عن تحقيق أي تقدم في إستراتيجيتها تجاه سوريا أو غزة أو لبنان، بل تحول أصغر كيانين فى المنطقة (غزة– لبنان) إلى واحد من أهم المخاطر الإستراتيجية على إسرائيل . **ولقد**أثبت العدوان الإسرائيلي على لبنان وغزة أن المقاومة أصبحت هي الرقم السياسي والعسكري الصعب. والذي لا يكسر في معادلة عسكرية، مهما كانت عنيفة وموغلة، وأصبحت المقاومة في وضع أقوى سياسياً، حتى على صعيد العلاقة بالمحيط الإقليمي والمجتمع الدولي.

وإسرائيل ترغب في إقحام الدّول العربيّة في صراعات جانبيّة مع دول أخرى غير عربيّة في دائرة الجوار الجغرافي. وذلك بهدف جذب هذه الدّول إلى صراعات جانبيّة بعيداً عن الصّراع الرّئيسي بين العرب وإسرائيل. وإذا كانت الحرب الإسرائيليّة على لبنان في ٢٠٠٦ وعلى غزة في ٢٠٠٩ محاولة إسرائيليّة فاشلة لتحقيق مصالحها القائمة بالدّرجة الأولى على التخلص من خطر النفوذ الإيراني. حيث أصبحنا نشهد مفردات جديدة سياسيّة في المنطقة كمحور الشرّ والتطرّف والمحور الذي يضمّ دولا عربيّة كسوريا ومنظمات وأحزاب المقاومة مقابل محور الاعتدال الذي يضمّ دولا عربيّة بالإضافة إلى إسرائيل. **فإن كان الموقف من حرب تموز٢٠٠٦ يضع قوى الاعتدال في مواجهة الانقسام القائم في المنطقة على أساس الصراع مع الجمهورية الإيرانية والمعطى المذهبي الشيعي الصاعد، فماذا عن غزة؟ وماذا عن حماس، وهي ليست سوى أحد فروع حركة الإخوان المسلمين السنية ؟؟؟**

فقد خسر الفلسطينيين والعرب كثيراً في صراعهم ضد إسرائيل. والمعضلة، أن سبب هذه الخسارة لم يكن فقط بسبب ضعفهم أو بسبب رجحان ميزان القوى لصالح إسرائيل، وليس بسبب عدم ملائمة الأوضاع الدولية والإقليمية لتطلعاتهم ومتطلباتهم المشروعة فحسب. وإنما بسبب تخلف إدارتهم لأوضاعهم، وغياب إستراتيجية واضحة لهم تتأسس على الواقعية والعقلانية. وجاءت حرب تموز وحرب غزة لتعطي بارقة أمل نحو المواجهة السليمة مع إسرائيل المعتمدة على التخطيط والرؤية الواضحة، فهزائم إسرائيل في لبنان وغزة هي نتيجة تطور الفكر والممارسة لدى المقاومة .

تمهيد

إرهاصات الحركة الصهيونية وحالة الاستقطاب العربي الحاد

حملت بدايات القرن العشرين إرهاصات قوية لاستقطاب هائل تعرضت له الحركة الصهيونية اليهودية، أدى عملياً إلى صدع كبير في بنائها الفكري والحركي والتنظيمي. ففي انحياز الصهاينة الألمان إلى امبراطوريتهم العتيدة، وفي الوقت الذي تزعم الزعيم الصهيوني الأشهر حاييم وايزمان جناح الحركة الصهيونية المنحاز إلى الحلفاء، نجد أن زعيماً صهيونياً لا يقل شهرة وهو ديفيد بن غوريون تزعم الجناح القوي المعادي بشدة لسياسة وايزمان، ذلك الجناح الذي تحالف مع الدولة العثمانية التي كانت ضمن دول المحور[١].

ولم يكن يوما من الأيام هناك موقف يهودي موحد من المشروع الصيوني وشرعية الدولة الإسرائيلية، فالمشروع الصهيوني يعبر عن أيديولوجيا قومية لا تختلف في الجوهر عن النزعات القومية الإحيائية التي عرفتها الساحة الأوروبية أوانها، وإن كانت تستخدم الميتولوجيا اليهودية لتعزيز طاقتها التعبوية، على الرغم من أن أغلب عناصر المؤسسة الحاخامية قد حاربتها في المبدأ نتيجة لطابعها العلماني اللاديني. لذا كان من الطبيعي أن تصطدم هذه الدعوة القومية بالتصورات المسيحانية اليهودية التقليدية التي تعتبر أنماط السلوك العدائي التي يتلقاها اليهود عقوبة إلهية على ذنوب الشعب الإسرائيلي ،في حين رفضها أيضاً التيار التويري انذاك الساعي إلى تطبيع وضع اليهود داخل المجتمعات الأوروبية الحديثة[٢].

ومن أبرز من عارض المشروع الصهيوني المفكر والحاخام اليهودي الألماني المشهور موريس غودمان الذي نشر فور صدور كتاب هرتزل كتاباً نقدياً لاذعاً بعنوان اليهودية القومية اعتبر فيه الصهيونية امتداداً لنزعة المعاداة للسامية وخروجاً عن روح التوراة وتعاليمها مبيناً أن الجيش بطبعه معارض للقومية كما أن مشروع الدولة بالاستيطان تدخل في الإرادة الإلهية ومسلك مرفوض دينيا. فالحركة الصهيونية من منظور الموسسة الحاخامية ذات توجه لائكي لا ديني ومن ثم ليست مهيأه للإسهام في حل المشكلة اليهودية.

---

(١) السيد ولد أباه ، منير شفيق ،" مستقبل إسرائيل"، دار الفكر ،دمشق ،٢٠٠١، صفحة ١٩-٢١ .
(٢) المرجع نفسه، صفحة ١٩-٢١ .

وهذا الموقف المعارض للصهيونية كان يحظى بتأييد كثير من الجاليات والحاخامات اليهودية في كثير من الدول كا النمسا وألمانيا وفرنسا . إذ أن الإيديولوجيا الصهيونية احسنت استخدام مقولة الوعد المقدس أو شعب الله المختار لتدعيم شرعيتها في المخيال الجماعي[٣].

ولم يكن بناة الدولة الإسرائيلية يخفون توجههم العلماني، معتبرين أن العودة لفلسطين ليس مرجعها التزام روحي وإنما الخلاص الدنيوي السياسي أي حل حل مشكلة الشعب اليهودي بإنشاء وطن قومي جامع له ، ولذا فإن خيارات اخرى قد طرحها هرتزل كما كشف في يومياته مثل أوغندا وطرابس وقبرص والأرجنتين والكونغو .ولم يتم تغليب الخيار الفلسطيني إلا لاستثمار الرابطة العاطفية الدينية التي تربط الشعوب اليهودية ب أرض الميعاد [٤].

وفي هذا الإطار طالب بن غوريون في ذلك الوقت بدمج يهود فلسطين في الدولة العثمانية، كما أعلن ضرورة محاربة سياسات وايزمان باعتبار أنها تضر بيهود فلسطين. وعندما حانت لحظة ميلاد دولة إسرائيل، فإن الجناح الموالي للمحور بزعامة ديفيد بن غورديون تقاسما السلطة في الدولة الوليدة، فقد تولى وايزمان رئاسة إسرائيل في حين تولى بن غوريون رئاسة الوزراء[٥].

ومع التسليم بأن التاريخ لا يعيد نفسه، إلا أن محاولة تماثله مع حال الاستقطاب والانقسام الحاد الذي يعاني منه العرب حالياً، بسبب تضارب الرؤى حول أفضل السبل لمواجهة تعنت إسرائيل واستهانتها، واستمرارها ليس فقط في احتلال الأراضي العربية الفلسطينية وإنما سعيها لإسقاط مبدأ قانوني دولي هو حق الشعوب في مقاومة الاحتلال.

وإن مثل هذه الحالة لدراسة التاريخ تبقى محاولة مفيدة من منطلق التعلم من الخصم، ففي المقارنة مع حال الاستقطاب والانقسام الشديد التي مرت بها الحركة الصهيونية في بداية القرن 20 ، فإننا سنجد حركة التحرر الوطني الفلسطينية تمر بالحال نفسها في بداية القرن 21. والتباين الشاسع بين زعيمي جناحي الحركة الصهيونية وايزمان وبن غوريون لفكرة وطن لليهود، يقابله اختلاف شديد في رؤى حركة حماس وحركة فتح فيما يتعلق بأكثر السبل واقعية للوصول إلى الدولة الفلسطينية .

---

(٣) والصهيونية من منظور اليهودية الأرثودكسية قلبت التصور المسيحاني بأن جعلت حل المشكلة اليهودية ممكناً بالتدخل الإنساني ،وليس بترقب المعجزة السماوية ، وهكذا اختطفت اليهودية لأغراض سياسية غير دينية أفرغت من محتواها الديني ، راجع يوسي ميلمان،" الإسرائيليون الجدد مشهد تفصيلي لمجتمع متغير"، ترجمة فاضل البديري ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ،١٩٦٣ ،صفحة ١٣٦ .

(٤) السيد ولد أباه ، منير شفيق ،" مستقبل إسرائيل"، مرجع سبق ذكره ، صفحة ١٩-٢١ .

(٥) يوسي ميلمان،" الإسرائيليون الجدد مشهد تفصيلي لمجتمع متغير"، المرجع السابق الذكر ،صفحة ١٣٦ .

أن التضارب في رؤى الهدف الواحد ليس ظاهرة غريبة عن حركات التحرر الواقعة تحت الاحتلال إلا أن المرفوض هو التضحية بالقضية ذاتها في سبيل إثبات صحة هذه الرؤى وهو الأمر الذي مثل خطاً أحمر للحركة الصهيونية. إن ما تقدم يطرح قصة واقعية تمثل فصلاً مهماً من تاريخ تطور الحركة الصهيونية.

وإن كان هذا الفصل غير مقروء لدى العرب بصفة عامة، ولدى الفلسطينين بصفة خاصة، ونحن مدعوون إلى قراءته والقراءة فيه ودعوة العرب عامة والفلسطينيين خاصة بكافة فصائل المقاومة أن يأخذوا الحكمة ولا يضرهم من أي وعاء أتت [٦]. وإن الذين ينادون بضرورة أن نتفق لأننا عرب فقط يغفلون حقائق أساسية في مجال التحليل السياسي المعاصر فكل دولة لها مصالحها الخاصة التي تدافع عنها وهذه مسألة مشروعة حتى لو بدا ذلك مضاداً لتيار عربي جماهيري عام .

ومن هنا يمكن القول أنه بدلاً من الحديث المجرد عن الاتفاق بين العرب والاختلاف فيما بينهم، يجب أن نقرأ مكونات النظام الإقليمي العربي بدقة، وأن نحدد نمط تحالفات كل دولة مع الدول الإقليمية وبواعث هذه التحالفات وضروراتها ومدى إضرارها بالأمن القومي العربي لو كان هناك اتفاق محدد على صيغته.

ومن ناحية أخرى لا بد الالتفات إلى حقيقة بسيطة وإن كانت مهمة وهي أن النخبة السياسية الحاكمة في بلد ما هي التي تحدد صواباً أو خطأ، طبيعة مصالح الدولة التي تمثلها في كثير من الأحيان، فإن هذا التحديد ينطلق من اعتبارات موضوعية تهدف إلى حماية الأمن القومي من الاختراق[٧]، مثل حماية حدود الدولة والتحديد الدقيق لمصادر تهديد هذا الأفق من دون تهويل أو تهوين . **وفي** بعض الأحيان تنحرف النخب السياسية الحاكمة في إدراكها للواقع، فتبتدع مصالح وطنية للدفاع عنها. وبناء على ذلك، يمكن أن تشن الحرب على دولة ما، تماماً مثلما زعمت إدارة الرئيس السابق جورج بوش الابن، أن العراق يمثل خطراً ملحاً على الأمن القومي الأميركي. لأنه يمتلك أسلحة دمار شامل، ما يبرر شن الحرب عليه وغزوه عسكرياً، بالإضافة إلى إسقاط نظام العراق لتحويله بالقوة العسكرية إلى نظام ديمقراطي عربي جدير بأن يحتذى؟

هكذا تفعل الأوهام أحياناً حين تعصف بعقلانية الزعماء السياسيين وتوردهم – كما حدث لأميركا– موارد الاخطاء القاتلة [٨].

ومن أبرز الوقائع التاريخية التي أدت إلى خلاف عنيف بين الدول العربية اتفاقية كامب ديفيد واجتياح العراق للكويت. فاتفاقية كامب ديفيد التي وقعتها مصر وإسرائيل لحل الصراع العربي الإسرائيلي، والتي

---

(٦) يحيى غانم، "حرب وايزمان – بن غوريون في نسختها العربية"، صحيفة الحياة. بيروت، ٢٦-١-٢٠٠٩ .
(٧) مثل حماية حدود الدولة والتحديد الدقيق لمصادر تهديد هذا الأفق من دون تهويل أو تهوين .
(٨) السيد ياسين، "العرب بين التوافق والاختلاف"، صحيفة الحياة، بيروت ، ٨-١-٢٠٠٩ .

بناءً عليها وقعت معاهدة الصلح الإسرائيلية المصرية. ويبدو أن اللحظة التاريخية التي وقعت فيها اتفاقية كامب ديفيد لم تكن مؤاتية لكل البلاد العربية، لكي توافق على الصلح . كما أن طبيعة الموقف ذاته وهو ترك الصراع والتصالح في ظل تفكير سياسي سائد يقوم على أن لا صلح ولا اعتراف بإسرائيل، قد أدت إلى اشتعال الخلاف. ولقد نتج عن جبهة المعارضة لكامب ديفيد قرارات بمقاطعة مصر ومعارضة خطتها في إبرام سلام مع إسرائيل.

ولسنا هنا في مقام التقييم التاريخي، لكي نقرر من كان المصيب ومن كان المخطئ. ولكننا أردنا فقط، أن نقدم وقائع تاريخية حدث فيها خلاف أساسي، بين الدول العربية حول مسألة مهمة وخطيرة هي الصلح التي دافع عنها الرئيس أنور السادات آنذاك. والتي جاءت مضادة للتيار السياسي الذي كان سائداً والذي كان يرى عدم الاعتراف بإسرائيل وعدم التفاوض معها، ومتابعة الصراع لإقرار حق الشعب الفلسطيني في إنشاء دولته المستقلة حتى لو استمر عشرات السنين .

ومن ناحية أخرى لماذا نتوقع أن تتفق الدول العربية جميعاً حول المواقف الدولية والإقليمية نفسها رغم اختلاف نظمها السياسية وتنوع نمط علاقاتها الدولية مع الدول الإقليمية والكبرى. ولنتذكر واقعة احتلال العراق للكويت، وما أدى إليه هذا الاعتداء من هدم مذهب الأمن القومي العربي الذي كان يقوم على أساس أن إسرائيل هي مصدر التهديد الأول.

إذا كان من المنطقي بعد تحرير الكويت أن تبحث دولة الكويت عن ضمانات لأمنها القومي ولذلك عقدت اتفاقات أمن مع أميركا وبريطانيا كذلك السعودية والبحرين وقطر، وفي هذه المواقف لا يمكن الزعم في الواقع أن الكويت خالفت إجماعاً عربياً ما، لأن الدول العربية لم تستطيع تأمين الأمن القومي للكويت [٩].

بالمقابل فإن الثقافة السياسية في إسرائيل انتقلت إلى ثقافة من طبقتين الأولى تلك الظاهرة المنصوص عليها في القانون المتشكلة في مؤسسات الحكم. والثانية، تلك المستترة المتشكلة حديثاً في مؤتمرات وحلقات بحثية تنعقد دورياً، والتي صادرت الكثير من صلاحيات مؤسسات الحكم، واستبدلت المؤسسات التشريعية في صنع السياسات والتأثير على عمليات صنع القرار .

ويجمع المراقبون في إسرائيل على سبيل المثال، على كون مؤتمر هرتسليا المنعقد دورياً كل عام مركزاً بحثياً تتقرر فيه السياسات الأمنية والتوجهات الإستراتيجية. بينما يشكل مؤتمراً قيسارياً السنوي، مركزاً

---

(٩) المرجع نفسه.

لتحديد السياسات الاقتصادية المالية الاجتماعية، أما البرلمان فيشكل في وظيفته الراهنة مؤسسة لإقرار التوجهات التي تنتجها هاتان الحلقتان [١٠].

وبالتالي فالقرار السياسي الإستراتيجي لا يعتمد على صاحب القرار بالدرجة الأولى فرئيس الوزراء يأتي ويذهب بل أن الخيار الإستراتيجي هو قناعة النخب في أساسه وهو في صلب طروحات كبار المنظرين الإستراتيجيين، فالقناعة باقية لأن عوامل تكوينها موضوعية [١١]. وتحاول النخب الإسرائيلية التي تعبت من ذاتها ومن موروثها أن تغير وجهتها ووجهة المنطقة لأسبابها وذلك من خلال توجهين إستراتيجيين تحاول أن تقنع بهما العرب من حولها وسوريا على وجه الخصوص :

الأول: إنها مستعدة لتنازلات من ناحيتها في الجغرافيا.

شرط أن يضمن لها التحكم بالديمغرافيا. بمعنى أنها مستعدة، للأنسحاب إلى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ أو خطوط قريبة منها، شرط أن يعترف بها عربياً دولة يهودية أو لليهود وليس لأحد سواهم، وأن تلتزم دول الطوق بحفظ حدودها بوصفها كذلك .

الثاني : إنها مستعدة لحماية العرب من التمدد الإيراني في المنطقة.

وصولاً إلى توجيه ضربة وقائية ضد مشروع التسلح الإيراني بشقيه التقليدي وغير التقليدي.

والاجماع الإسرائيلي الراهن حول ضرورة ضمان يهودية الدولة ربما كان أوسع إجماع في التجربة الإسرائيلية منذ كانت وهو الخط الأخير الذي يلتقي عنده الإسرائيليون بنخبهم وفئاتهم كافة وهم مستعدون للعودة إليه شرط أن يتكفل العرب حمايته. وفي المقابل، تلوح النخب في إسرائيل أنها مستعدة للعب دور رأس الحربة في صد المشروع الإيراني. الممتد غرباً إلى كل المساحة العربية، وهو ما ينسجم مع مطامحها بقصم ظهر هذا المشروع، قبل أن يقف هو على حدودها وهنا تكون تطابقت مصالح النخب في إسرائيل مع مصالح العرب المعتدلين [١٢].

---

(١٠) مرزوق الحلبي، "المفاوضات السورية الإسرائيلية أبعد من سوريا وأكثر من سلام"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٦-٧-٢٠٠٨ .

(١١) ومن المرجح أن يبقى المنطق السياسي قائماً طالما أنه استجاب لبرامج النخب وأفكارها في ما يتعلق بالداخل الاسرائيلي وأكثر ما يتعلق بالمتغيرات الإقليمية وأبرزها السعي إلى صد التقدم الإيراني .

(١٢) المرجع نفسه.

القسم الأول

من يسيطر على الوضع في فلسطين المقاومة أم التسوية ؟

الحرب كائن خرافي إن تحرك لا تعرف وجهته، ويصعب إن استمر توقع على أي وضع تؤول نهايته. والحرب وحش تصعب السيطرة عليه حتى من قبل من يقوم على تخليقه بدقة وحذر، راسماً له المسار المحدد والأهداف الواضحة. حروب كثيرة ارتدت وبالاً على من أطلقها، وحروب أكثر خلقت دولاً وشرعيات أرادت أصلاً أن تدمرها. والحروب على مدار التاريخ الإنساني المحير والبائس معاً هي الآلية البشعة والواقعية التي صنعت شكل المجتمعات وحدودها وشرعيات الدول والقوى التي تتحكم فيها [١٣] .

فعالم اليوم هو نتاج سلسلة لا تنتهي من الحروب. والشرق الأوسط كما نعرفه اليوم في دوله ومساره، وحدود دوله، وطبيعة أنظمته، ولأي أن يضيف ما يشاء، هو جماع ما تمخضت عنه حروب طاحنة على مدار أكثر من قرن. وحرب غزة تندرج في هذا السياق الكلاسيكي لآلية اشتعال الحرب، وهي بهذا المعنى مفصلية وتاريخية، يتنوع ميزان الربح والخسارة للأطراف المختلفة المنخرطة فيها مباشرة أو المتأثرة بها بشكل أو بآخر [١٤] .

وإذا كانت الحرب استكمالاً للسياسة ولكن بشكل عنيف، فإن حروب إسرائيل تظل هي الأصل وممارسة السياسة هي الاستثناء وهي حقيقة تاريخية تشهد عليها الحروب السبع التي خاضتها اسرائيل ضد العرب منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا [١٥]. ولا شك أن الأوضاع على الساحة الفلسطينية، بعد الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، لم تعد كما قبلها، لا على صعيد عملية التسوية، ولا بالنسبة إلى شكل النظام السياسي، ولا بالنسبة إلى العلاقة بين حماس وفتح [١٦].

---

(١٣) خالد الحروب، "حرب غزة صعود الشرعيات وأفولها"، صحيفة الحياة. بيروت، ١١-١-٢٠٠٩ .
(١٤) المرجع نفسه .
(١٥) خليل العناني، "حقائق سياسية غيرتها الحرب على غزة"، صحيفة الحياة، بيروت ، ١٤-١-٢٠٠٩ .
(١٦) ماجد كيالي، "خيارات حماس بعد الحرب هدنة طوعية أو مقاومة مفتوحة"، صحيفة الحياة، بيروت، ٥-٢-٢٠٠٩ .

المبحث الأول: أسئلة الأزمات والحروب

بعيداً عن الأهداف المباشرة للحرب الإسرائيلية على غزة فإن ثمة حقائق كثيرة يجري تقليبها وتقييمها الآن ومن شأنها إعادة تعريف الصراع مع إسرائيل على نحو مفزع.

الحقيقة الأولى: ما سعت إليه إسرائيل طيلة حربها على غزة من إعادة "تسكين" القضية الفلسطينية ونقلها من كونها قضية حقوق تاريخية ثابتة في مواجهة الاحتلال، كي تضعها في إطار معادلة صراعها الإقليمي مع إيران. مما يعني عملياً تصفية القضية وعدم الاعتداد بأية محاولات للتسوية قد تطرح مستقبلاً . وفي نظرة سريعة على مضمون الخطاب الإعلامي الذي تبنته إسرائيل طيلة الحرب وما قبلها وما تلاها، تكشف مدى الجهود الحثيثة الإسرائيلية لحشر القضية الفلسطينية وليس فقط حركة حماس ضمن ما يطلق عليه محور الشر أو "الممانعة" الذي تقوده إيران، ما يوجب تصفيتها ومحاربتها لمصلحة محور الاعتدال العربي ولسوء الحظ فقد نجح الإسرائيليون في مسعاهم، وحققوا من خلاله ثلاثة مكاسب أساسية :

١- إثارة حالة من البلبلة والتخبط داخل العالم العربي ليس فقط إزاء الموقف من حركة حماس، وإنما وهذا هو الأخطر إزاء حق الفلسطينيين في مقاومة الاحتلال [١٧].

٢- إثارة حال من التجاذب السياسي والإعلامي بين النخب العربية، ودخول أطراف عديدة في مهاترات ومزايدات أفادت الإسرائيليين والإيرانيين على حد سواء[١٨].

٣- تحذير القوى الكبرى خاصة تلك المناهضة لطهران وإعطاؤها المبرر للصمت على جريمة غزة [١٩].

الحقيقة الثانية : نزع الشرعية عن المقاومة الفلسطينية وليس فقط عن حركة حماس وهو ما سعت إسرائيل لتحقيقة، من خلال محاولة تشويه صورة المقاومة داخل الأراضي الفلسطينية وتشتيت جهودها وذلك بمحاولة إلحاقها باللعبة الإقليمية وتقطيع أوصالها العربية[٢٠]. ومحاولة وقف أي دعم مادي أو عسكري يتم تقديمه لفصائل المقاومة الفلسطينية. وهو ما يتفق مع الهدف الرئيسي من الحرب على غزة، وهو تغيير الوقائع على الأرض وإنهاء أي وضع إستراتيجي للمقاومة،

---

(١٧) خليل العناني،المرجع السابق الذكر .

(١٨) كان من المفترض أن يفطن الجميع لهذا الواقع وأن تتجنب النخب العربية الانزلاق في معارك إعلامية وفرت غطاء لإسرائيل لارتكاب جرائمها في غزة .

(١٩) وهذا ما يفسر فشل مجلس الأمن الدولي مراراً في اتخاذ موقف من العدوان الإسرائيلي على غزة حتى صدور القرار ١٨٦٠ بعد اسبوعين من بدء الحرب.

(٢٠) لذا سيصبح على الفصائل المقاومة أن تسعى لإزالة الشبهات عن نفسها وإثبات طهارتها من هذه اللعبة وذلك بدلاً من التركيز على مواجهة إسرائيل .

بالإضافة إلى فرض هدنة طويلة المدى، وهي عبارة مرادفة لإنهاء المقاومة وإبطال حق الفلسطينيين في مواجهة إسرائيل [٢١].

الحقيقة الثالثة: كانت إسرائيل تسعى لتكريس السيناريو اللبناني في شمال قطاع غزة. بمعنى المطالبة بوضع مسافة فاصلة على حدودها الجنوبية مع غزة، سواء تم ذلك من خلال احتلال هذه المناطق أو وضع نقاط مراقبة دولية عليها. وعملياً هذا يعني تكريس الانفصال بين الضفة والقطاع، ونسف أي محاولة لإقامة الدولة الفلسطينية. مما يمهد الطريق لاحقاً، للمطالبة بالعودة إلى الخيارين الأردني والمصري في ما يخص الإشراف على الضفة وغزة [٢٢].

الحقيقة الرابعة: رفع الغطاء العربي عن القضية الفلسطينية برمتها وليس عن المقاومة فحسب، مما يؤدي إلى القبول بأية رؤية تفرضها إسرائيل للتسوية، حتى أن جاءت على حساب الثوابت الفلسطينية. وهنا قد تصبح القضايا الأساسية أو ما يطلق عليه قضايا الحل النهائي من إرث الماضي. وهو ما يتناغم مع الإشارات الواضحة التي أرسلتها إسرائيل منذ مؤتمر أنابوليس، وحتى حرب غزة سواء ما يتصل بالطابع الديني للدولة اليهودية ومبادلة المستوطنات الإسرائيلية بممر بري يربط الضفة بالقطاع، ناهيك عن معضلة قضيتي اللاجئين والقدس.

الحقيقة الخامسة: إن أي حديث عن الاستقرار في الشرق الأوسط بات وهماً، حتى مع الانسحاب الأمريكي من العراق وأفول تنظيم القاعدة. فما دامت إسرائيل لا ترى غضاضة في تصفية القضية الفلسطينية بطريقتها الآنية، وما دام لديها شعوراً بعدم وجود أي موانع تحول دون ذلك, فلا طائل من وراء مبادرات السلام التي تجاوزها الواقع.

جردت حساب للحرب على غزة تكشف بجلاء أن الرابحين هم اسرائيل وإيران وتركيا، تل أبيب بانهاك المقاومة بخلافات داخلية، وادخال القضية الفلسطينية في متاهات إقليمية. وربحت طهران من خلال ازدياد الوهن العربي الذي يترك فراغاً تحاول تعبئته. وأنقرة ربحت بإيجاد موطئ قدم معتبرة في فنائها الخلفي في الشرق الأوسط [٢٣]. وعربياً، خسرت دول محور الاعتدال جولة أخرى بعد خسارتها حرب تموز ٢٠٠٦. والدعم المتواصل من قبل الغرب لإسرائيل، زاد في إحراج محور الاعتدال وأدى إلى إضعاف منطق الدول العربية المعتدلة أمام شعوبها وأمام الأطراف العربية والإقليمية والدولية أيضا [٢٤].

أدى هذا المأزق الاستراتيجي الكبير إلى تزايد العنف الإسرائيلي، واتساع حيز الفراغ السياسي في المنطقة الخالي من رد فعل عربي شامل. وكان هذا الفراغ هو المحفز والمغري لدول مثل إيران

---

(٢١) لسوء الحظ لم يفرق الكثيرون بين حركة حماس كفصيل سياسي له أخطاؤه وكونها بالأساس حركة مقاومة وبين ما تسعى اسرائيل لترسيخه في الوعي العربي بأنه لا فارق بين حماس والقاعدة.

(٢٢) خليل العناني، "حقائق سياسية غيرتها الحرب على غزة"، مرجع سبق ذكره.

(٢٣) المرجع نفسه .

(٢٤) خالد الحروب، "حرب غزة صعود الشرعيات وأفولها" ، صحيفة الحياة، بيروت ، ١١-١-٢٠٠٩ .

وتركيا. بالإضافة إلى تنامي دور حزب الله وحركة حماس. فكلما تراجعت الدول عن رد الفعل الذي يتناسب مع الأحداث، تتراجع شرعية سيطرتها على الحيز السياسي المحلي والإقليمي، فيتولد الفراغ الذي تحتله المقاومات والدول الإقليمية. ففي ظل دولة توسعية احتلالية شمالاً وجنوباً، ولا تتوانى عن أستخدام العنف. لا بد من وجود قوى رادعة وليس فقط بالحرب والقوة العسكرية، ولكن بالسياسة الحازمة والإستراتيجية المانعة. كل ذلك لم يكن متوافر لدى الدول المعتدلة مما انعكس سلباً عليها وعلى المنطقة برمتها [٢٥].

وعند الخطين الصاعد والهابط تطرح قضايا مرتبطة بنفسية وثقافة الصعود والهبوط، ومن المعلوم أن نفسية الصاعد تستجمع آمال النصر وتسترخص كل التضحيات، أما نفسية الهابط فإنها تتسم بالدوار وافتقاد الرؤية، ما يسرع بالهبوط إلى قاع الهاوية، والقضية الفلسطينية تعيش الآن، ثقافة الخط الهابط الذي يحدث تفاعلاً وينقل الاهتمامات إلى مجموعة من القضايا في فراغ عدمي. وغني عن البيان أن هذه الحال العدمية ناجمة أصلاً عن الصراع بين خطين، هما خط المقاومة وخط التسوية. علماً، أن التسوية في الأحوال المماثلة تستفيد من المقاومة. **وإلا من يقرر من يسيطر على الوضع في فلسطين، المقاومة أم التسوية في بيئة عربية تسيطر عليها روح التسوية بأي ثمن؟**

هذا هو جوهر القضية حيث أن القضية الفلسطينية تمر الآن بأخطر مراحل التصفية [٢٦] . إذ في ظل الحروب العربية الإسرائيلية تشتعل حرب الأسئلة العربية، أكثر من الأسلحة العربية. حيث أن العرب يتهربوا من إثارة الأسئلة المنطقية قبل اندلاع الأزمات والحروب، ظناً منهم، أن الأسئلة المنطقية كثيراً ما تفجر إجابات غير منطقية سرعان ما تتحول إلى ثورية ثأرية؟ وإذا ما سرنا في حقل ألغام أسئلة الأزمات والحروب ومنها حرب غزة، فيا ترى :

- **هل كانت مبادرات السلام والتهدئة حية حقاً حتى تقتلها صواريخ المقاومة؟**
- **هل كان الفلسطينيون يعيشون في رغد من العيش والسلام يمنعهم من التفكير بالانتحار؟**
- **هل عرف تاريخ البشرية أن هناك مقاومة تفوق أو توازي القوة المحتلة؟**
- **هل كانت المقاومة التي دحرت نابليون أقوى من جيوش نابليون؟**
- **هل يلام الفلسطينيون على مسعاهم للهروب من السجن مدى الحياة حتى لو أدى ذلك إلى الموت؟**
- **هل لا بد أن نكون "مع" أو "ضد" بصورة كاملة ومطلقة نقبل كل ما تفعله حماس أو نرفض كل ما تفعله حماس وبالمثل مع فتح؟**

---

(٢٥) **المرجع نفسه.**
(٢٦) **عبدالله الأشعل، "فلسطين: من ينهي العلاقة العدمية بين حصار وهدنة وحوار"، صحيفة الحياة، بيروت، ٥-١- ٢٠٠٩ .**

- **هل يمكن لأي عربي ساذج أن يكون ما زال مؤمناً بأكذوبة "الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية". في ظل تشفي بعض العرب بهزائم وقتلى حماس؟**

قال الطبيب للعجوز: هل تشعر بأي ألم؟ أجابه العجوز: نعم ولكني سأتوقف عن الشعور بهذه الآلام عندما أموت. ولذا فإني كل صباح عندما استيقظ وأجد فيّ الآلام أفرح بها...لأنها تشعرني أنني ما زالت حياً. الذين لا يتألمون هم المعافون دوماً أو الميتون ولكن هل يجروء العرب الذين لا يحسون بآلام هذه الأيام الزعم بأنهم معافون [٢٧]؟

لقد أصيبت الوضعية الفلسطينية بعد العدوان الإسرائيلي على غزة بتصدعات خطيرة قد تفضي إلى انهيارات بنيوية، بفعل تضافر عوامل خارجية غير مساعدة، وعناصر داخلية فلسطينية مهيأة لاستقبال السلبيات أكثر مما هي جاهزة لتمييز الإيجابيات أو الدفع باتجاه توليدها [٢٨]. وإذا كان جوهر المسألة ميزان القوى فهذا مختل أصلاً على صعيد معين لمصلحة الاحتلال ولكن اختلاله يزاد بسبب تجذر الموقف العربي الرسمي بالمقارنة مع حرب ٢٠٠٦ في لبنان، تجذره في العجز وفي التواطؤ. بينما ينكشف الغطاء تماماً عن أي تبرير لهذا الموقف في غزة [٢٩]،

فإن كان الموقف من حرب تموز٢٠٠٦ يضع قوى الاعتدال في مواجهة الانقسام القائم في المنطقة على أساس الصراع مع المحور الإيراني والمعطى المذهبي الشيعي الصاعد، فماذا عن غزة؟ وماذا عن حماس، وهي ليست سوى أحد فروع حركة الإخوان المسلمين؟

كل قضايا الهدنة والحوار والحصار الجذر المشترك فيها جميعاً هو ما يبدو التفاهم بين مصر وإسرائيل وسلطة الحكم الذاتي بالإضافة إلى التفاهم العربي الدولي. فالحصار هو الأداة التي تقوم بها إسرائيل وتساندها مصر للقضاء على المقاومة وقد لا يتسع المقام إلى قراءة الأبعاد الحقيقية والافتراضية التي تدفع مصر إلى هذا الخيار وفقاً للأمن القومي المصري [٣٠]. ولم يكن لأحد أن يملك من المكانة أو من الأحقية أو من القدرة على ممارسة الدور المصري في غزة لأسباب تتجاوز الجغرافيا إلى التاريخ. وتتجاوز السياسة إلى صلات القربى ووقائع الحياة، فقد كان مستغرباً أن يتطرف السلوك الرسمي المتوتر حتى حدود الحرب على التدخل الخارجي والمقصود هنا غير الإسرائيلي في غزة كأنما الهجوم عليها قد نفذه جيش قوي هبط من المريخ.

وقد تكون انطباع وسرعان ما أكدته الوقائع وهو أن السلطة في مصر تتقصد التركيز على خارج ما. حتى لا تضطر إلى التركيز على مسؤولية إسرائيل مما يطرح على الفور دور مصر بالتحديد في الرد على هذه الحرب الإسرائيلية [٣١]. ويمكن القول أن مصر نفسها كانت واقعة تحت الحصار

---

(٢٧) زياد ادريس، "أسئلة الحرب"، صحيفة الحياة ، بيروت، ١٤-١-٢٠٠٩ .
(٢٨) أحمد جابر، "بعد غزة: محاذرة الاستبداد النضالي"، صحيفة الحياة، بيروت، ١-٢-٢٠٠٩ .
(٢٩) نهلة الشهال، "ما تكشفه المواجهة من معطيات"، صحيفة الحياة، بيروت، ١١-١-٢٠٠٩ .
(٣٠) عبدالله الأشعل، المرجع نفسه .
(٣١) طلال سلمان، "قراءة في الحرب الإسرائيلية على غزة"، صحيفة السفير ، بيروت ، ٤-٣-٢٠٠٩ .

الإسرائيلي مثلها مثل غزة، بل قد يكون الحصار عليها أشد. وتأكد ذلك عندما تم توقيع الاتفاق بين إسرائيل والولايات المتحدة في فرض حصار على المياه الإقليمية المصرية بذريعة مكافحة الإرهاب _ تهريب السلاح إلى غزة _ وإن جاء الرد المصري ورفض هذه الاتفاقية، ولكن هذا الرد لم يغير الأمر الواقع فإن إسرائيل تحاصر جميع العرب في دولهم من حولها جميعاً [٣٢].

المسألة إذاً هي في الخيارات السياسية وليس في أي شيء آخر. وبهذا الصدد، فإن كان أحد أوجه ميزان القوى ممثلاً لمصلحة الاحتلال. فإن وجهه الآخر ليس كذلك. وعدم الاستفادة من ذلك الواقع، هو بمثابة ورطة إستراتيجية ستؤدي إلى إدامة الاختلال في ميزان القوى لصالح إسرائيل. وإلى الاتجاه نحو آفاق غير محسوبة وغير قابلة للضبط، يكون الخاسر الوحيد فيها في المحصلة الأمة العربية بأسرها وعلى كافة المستويات [٣٣].

المبحث الثاني : الموقف العربي والدور الحيوي

منتهى القول أن حرب غزة أوضحت أن النظام العربي مريض وغير قادر على المتابعة والإبداع لا في فضائه الإقليمي ولا في باحته الداخلية. لهذا يصح توقع مآسي أكثر ترويعاً، إن لم يبادر هذا العالم إلى تغييرات جوهرية في بنيانه، حيث أن إعادة التقويم تتطلب آلية شاملة تتناول تقويم الحالة السياسية والفكرية والمعايير السياسية، وطرائق التفكير العربية. وأثبتت أن هذه الإعادة مطلوبة بشكل عاجل كل هذا في وقت تدفع فيه الشعوب العربية أكلافاً باهضة[٣٤] .

ما تكشفه المواجهة من معطيات تؤكد أن ارتباط عموم الناس في المنطقتين العربية والإسلامية بفلسطين لم يمت، وذلك رغم سنوات الضباب والشك، فعملية السلام متعثرة إلى حد تحويلها إلى سيرورة خديعة وإخضاع، وصراع الفصائل الفلسطينية والسلطة الفلسطينية فوق الحد القابل للتجاهل، ناهيك عن أن الواقع العالمي تنتابه اضطرابات في المفاهيم والإستراتيجيات [٣٥]. وكشفت حرب إسرائيل على غزة وعي وتعاطف الشارع السياسي ليس في العالم العربي بل في العواصم الغربية ذاتها. وهنا تأتي الفرصة السانحة في الحملة السياسية والإعلامية الفلسطينية والعربية لدى الرأي العام العالمي [٣٦].

---

(٣٢) المرجع نفسه.
(٣٣) نهلة الشهال، "ما تكشفه المواجهة من معطيات"، مرجع سبق ذكره .
(٣٤) سامي شورش، "حرب غزة وهزيمة النظام السياسي العربي"، صحيفة الحياة، بيروت ، ٢٦-١-٢٠٠٩ .
(٣٥) نهلة الشهال، المرجع السابق الذكر.
(٣٦) السيد عليوة، "تداركاً لحرب باردة عربية – عربي"، صحيفة الحياة، بيروت ، ٥-٢-٢٠٠٩ .

يجب طرح إشكالية المراهنة على الجماهير والشارع العربي طبعاً ليس من منطلق التقليل من أهمية هذه المظاهرات والتحركات، أو من نبل المشاعر التي تثيرها فهذا أضعف الإيمان. لكن ما يجب دراسته هو ضرورة كشف المسكوت عنه في الخطاب الجماهيري السائد، فمن خلال تفحص التجربة منذ الانتفاضة الثانية عام ٢٠٠٠إلى احتلال العراق ٢٠٠٣إلى حرب تموز ٢٠٠٦ وحرب غزة ٢٠٠٩ يمكن ملاحظة أن معظم الخطاب العربي الجماهيري مراوغ يتواطأ مع علاقات السيطرة في الواقع السياسي الراهن . فمثلاً يتم السكوت عن واقع المجتمع اليومي بإدعاء إعلاء شأن القضايا القومية والخارجية حيث لا تبدو الشعوب على شكل مجتمعات أو مواطنين أحراراً، وإنما مجرد أفراد وكتل عشوائية بينما يبدو الشارع مجرد ساحة وبديلاً للإطارات وللتوسطات السياسية، وللتمثيلات الشعبية وللبرلمانات وفي هذا وذاك تحل التحركات الشعبية محل المشاركة السياسية [٣٧].

فإن خطاب الجماهير برغم ثورويتة الظاهرة وطوباويتة، يسكت عن حال تغييب المجتمعات ويقصر عن الإجابة عن أسباب عجزها وضعف وعيها لذاتها ولدورها. فهذا الشارع لا يرغب في الذهاب إلى البحث في أسباب قصور التحركات الجماهيرية وأسباب تغييب المجتمعات العربية. لأن الذهاب إلى البحث في هذا الموضع سيوصل إلى **السؤال الاستراتيجي : عن معنى غلبة علاقات السلطة على الدولة في النظام العربي، وإلى واقع إحلال وسائل القوة والسيطرة، محل علاقات المشاركة والتداول والتمثيل ؟**

في التفاصيل لا بد من الاعتراف بأن خطاب الجماهير يتعامل مع القضايا أكثر من تعامله مع البشر وحاجاتهم، فبقاء خطاب الجماهير أسير اللحظات التاريخية يؤكد عدم نضج الواقع العربي ويدلل على واقع السياسة في بلادنا [٣٨]. وعلى الرغم من النكسات والهزائم والإخفاقات، فإن مراكز صنع القرار ومراكز الأبحاث في البلدان العربية، ما زالت تفتقد لأي نوع من الأبحاث والمراجعات الناجمة عن الحروب مع إسرائيل لاستنتاج الدروس والعبر منها. لا في الحقل العسكري ولا في غيره، وهذا يشمل أيضاً فصائل المقاومة قبل حرب تموز ٢٠٠٦ وحرب غزة ٢٠٠٩ .

ففي إسرائيل توجد عشرات مراكز البحث والدراسات ولجان تحقيق يشارك فيها مسؤولون وخبراء عسكريون وقانونيون، تمد صانع القرار الإسرائيلي بالتوجهات والنصائح ولائحة الاحتمالات والخيارات، هكذا قرأنا عن تقرير لجنة "أغرانات" بعد حرب ١٩٧٣ ولجنة "كاهانا" ١٩٨٢ وأخيراً لجنة "فينوغراد" بعد حرب تموزوكثير من اللجان الفرعية والمختلفة[٣٩] .

---

(٣٧) ماجد كيالي، "إشكالية المراهنة على الجماهير والشارع العربي"، صحيفة الحياة، بيروت ، ٢٠-١-٢٠٠٩ .

(٣٨) المرجع نفسه.

(٣٩) ومن الملفت للنظر أن الكثير من العرب يستشهدون بهذه اللجان من دون أن يتساءلوا أين هي لجاننا وتحقيقاتنا ومراجعتنا ودراساتنا؟

لقد خسر الفلسطينيين والعرب كثيراً في صراعهم ضد إسرائيل. والمعضلة، أن سبب هذه الخسارة لم يكن فقط بسبب ضعفهم أو بسبب رجحان ميزان القوى لصالح إسرائيل، وليس بسبب عدم ملائمة الأوضاع الدولية والإقليمية لتطلعاتهم ومتطلباتهم المشروعة فحسب. وإنما بسبب فوضاهم وتخلف إدارتهم لأوضاعهم، وانقساماتهم وغياب إستراتيجية واضحة لهم تتأسس على الواقعية والعقلانية . وجاءت حرب تموز ٢٠٠٦ وحرب غزة ٢٠٠٩ لتعطي بارقة أمل نحو المواجهة السليمة مع إسرائيل المعتمدة على التخطيط والرؤية الواضحة، وقد تكون هزائم إسرائيل في لبنان وغزة نتائج تطور الفكر والممارسة لدى المقاومة [٤٠].

وللتدليل على ذلك نقل موقع تيك دبكا الاستخباراتي الإسرائيلي عن وجود معلومات وثيقة حول خطة أعدتها إيران و"حزب الله" لاحتلال شمالي فلسطين منطقة الجليل ونهاريا في حالة نشوب حرب بين إسرائيل وإيران. كما ونقل موقع "تيك دبكا" الاستخبارتي عن مصادر استخباراتية إسرائيلية كشفها النقاب أنه في حال تم قصف المفاعلات الذرية الإيرانية فستحتل إيران و"حزب الله" مدينة نهاريا شمال إسرائيل.

ووفقاً للمعلومات والمعطيات الإسرائيلية، فإن ٥ آلاف جندي من "حزب الله" يتلقون تدريبات وينقسمون لخمس ألوية كل لواء يضم ألف جندي تدربوا جيدا على حرب الشوارع وتدريباتهم تضاهي القوات الأميركية والإسرائيلية، وكل لواء وضعت له خطة لاحتلال شمالي إسرائيل والمهام كالتال :

مهمة اللواء الأول : احتلال مدينة نهاريا التي يسكنها ٥٥ ألف إسرائيلي أو علي الأقل احتلال جزء منها، حيث يصل ١٥٠ جندي من "حزب الله" علي قوارب لاحتلال شاطئ نهاريا.

مهمة اللواء الثاني :احتلال بلدة "شلومي"الواقعة علي بعد ٣٠٠ متر من الحدود اللبنانية الإسرائيلية ويقطنها ٦٥٠٠ إسرائيلي لمنع قوات الجيش الإسرائيلي من إرسال تعزيزات لنهاريا وحتى الجليل الأعلى.

مهمة اللواء الثالث: السيطرة على القرى العربية في الشمال (البعنه دير الأسد ومجد الكروم) الواقعة شمالي مدينة "كرمئيل" الإسرائيلية بهدف خلق حاجز عسكري بين القرى العربية والجليل مما قد يؤدي إلى تمرد في صوف فلسطيني الداخل.

مهمة اللواء الرابع: ستكون جنوبي شرق لبنان حيث تتواجد لبلدات الإسرائيلية (مليخا راموت نفتالي يفتاح) فإن في حال نجح "حزب الله" باحتلال تلك البلدات فسيسيطر علي القرى الأخرى الواقعة في الطرف الشمالي لرأس الناقورة وإصبع الجليل.

---

(٤٠) www.tayyar.org/Tayyar/News/PoliticalNews/ar-LB/israel-hezbollah-184134.htm
تم الدخول بتاريخ ٢٦_٩_٢٠١٠ .

مهمة اللواء الخامس : ستكون استراتيجية بناء لرؤية حزب الله الاستراتيجية للحرب القادمة بحيث أن أي مواجهة جديدة مع إسرائيل فان "حزب الله "سينتصر وسيغير وجه الشرق الأوسط [٤١].

وبالتالي ومن خلال مقاربة محاكاة إسرائيل لروؤية المقاومة في فلسطين ولبنان فإن أي سؤال عن المقاومة لا يجب أن يثار بمنطق الاتهامية والانفعالية، بل بمنطق المساءلة والتفكير والتدبير، فقد أثبتت المقاومة في لبنان وفي فلسطين بعد حرب غزة، أنها قد انتقلت في طبيعة عملها المسلح في الساحة الفلسطينية، من العفوية وطريقة العمل المزاجي وعدم الارتباط، باستراتيجية سياسية واضحة، إلى صاحبة رؤية ومنطق عمل إستراتيجي سواء على الصعيد العسكري أو السياسي. فمقارنة ما بين اجتياح إسرائيل لمخيم جنين ٢٠٠٢ وبين حرب غزة ٢٠٠٩ فارق كبير في مستوى العمل السياسي والعسكري وهذا يحسب ويسجل لصالح المقاومة. فمع التأكيد على أهمية تدعيم المقاومة لصد أية اعتداءات إسرائيلية مستقبلاً، فثمة إمكانية لتحويل القطاع إلى نموذج للدولة المنشودة، أي تحويله إلى نموذج في الوحدة الوطنية، وبناء النظام السياسي وإعلاء شأن القانون والتنمية والتعليم والخدمات. كي يكون ذخراً للضفة، في سعيها لدحر الاحتلال وبخاصة أن العملية الوطنية الفلسطينية ذات وجهين تحرري وبنائي [٤٢].

ويبدو السجال الفلسطيني الساخن حول المنظمة ودورها أمراً يطرح كثير من الأسئلة، هذا فضلاً عما يثيره من الحيرة والأسى لجميع الأمة العربية. إذ لا بد علينا التساؤل :

هل هناك مبرر حقيقي للمعركة الدائرة حول منظمة التحرير الفلسطينية؟

فمهما كانت الأسباب وراء أفول نجم منظمة التحرير الفلسطينية، فالمهم أن دورها قد تراجع بالمقارنة مع فاعلين جدد مثل السلطة الفلسطينية والمجلس التشريعي الفلسطيني وحركة حماس، والحكومة المقالة في غزة، بزعامة اسماعيل هنية [٤٣] . وقد يقال، بأن هناك من اقتنع بأن المنظمة تتسع لسائر الفصائل الفلسطينية مهما كانت إستراتيجيتها ومناهجها وأهدافها، وهم على استعداد للانضمام إلى المنظمة، وللاضطلاع بدور فعال وحيوي في انهاضها من كبوتها. ومن تمكينها من القيام بالمهمات المرتجاة والمتوقعة، **ولكن:**

هل يقبل القائمون على المنظمة بهذا الطلب؟ وهل يتجاوبون في مسعى مشترك من أجل الحفاظ على المنظمة كإطار جماعي للنضال الفلسطيني؟

---

(٤١) المرجع نفسه .
(٤٢) ماجد كيالي، "خيارات حماس بعد الحرب هدنة طوعية أو مقاومة مفتوحة"، صحيفة الحياة، بيروت، ٥-٢-٢٠٠٩ .
(٤٣) رغيد الصلح، "هل هناك حاجة لمرجعية بديلة من منظمة التحرير؟"، صحيفة الحياة، بيروت، ٥-٢-٢٠٠٩ .

إذ يصعب على المقاومة في فلسطين أن تجمع بين المقاومة والعمل السياسي، ولكن أيضاً أصبح من الصعب على المقاومة أن تعمل في ظل سلطة تعتبر المقاومة ارهاباً. وهذا هو جوهر المشكلة [٤٤] . والقضية تكمن منذ البداية، في أن الجانب الفلسطيني والعربي افتقد للرؤية الاستراتيجية التي تنظر للصراع بمنظور المدى البعيد وليس بمنظور اللحظة الآنية. في المقابل كان الإسرائيليون أكثر قراءة للواقع بمحاولة إقامة دولتهم على الأرض قبل إعلانها رسمياً [٤٥].

كذلك لا يمكن اختزال القضية الفلسطينية في كونها قضية صراع فلسطيني داخلي أو عربي إسرائيلي إقليمي. مما يؤدي إلى توسيع نطاق الصراع وإبعاده عن جوهر القضية الأساسية، مما يؤثر في فلسفة الكفاح والمقاومة الفلسطينية، في كونه بات يعمل من الخارج بشكل أساسي. وهو الأسلوب الذي يضر أكثر مما يفيد في حال لم يتم تنويع أساليب العمل بما فيها تكوين مؤسسات في الداخل. وقد أثبتت المقاومة في حرب غزة أنها أصبحت تعمل وفق هذه الرؤية الإستراتيجية والعملية على حد سواء. فبعد الانتصار في غزة أصبحت المقاومة وعليها أن تدرك وتعمل على مراجعة إستراتيجيتها وتفادي الأخطاء الماضية آن وقعت.

فأهمية أحداث نقلة إستراتيجية في التفكير لا تقل عن أهمية توحيد الداخل الفلسطيني. فمن الطبيعي أن تفرض المعطيات الجديدة للمتغيرات ولو كانت تميل إلى مصالحنا أن يكون هناك إدراك ووعي من صاحب الحق بالمعطيات والمستجدات التي تتطلب منه أن يعي إبعادها حتى لا يضيع الحق منه[٤٦].

فإذا فشلت الجهود في لملمة الجماعة السياسية العربية والفلسطينية فإن ذلك سيؤدي إلى ضياع المكسب السياسي المهم الناجم عن الفشل الإستراتيجي لحرب إسرائيل على غزة[٤٧]. وإن مفهوم العمل العربي المشترك يجب أن ينتقل إلى درجة أرقى في التطور، بمعنى التحول إلى التفكير الإستراتيجي أي التحديد الدقيق للدور الحيوي، الذي يجب أن تلعبه الأمة العربية في تعبئة مواردها لمواجهة التحديات التي تنتظرها في جو التفاعلات الدولية الحادة بإتباع إستراتيجية توزيع الأدوار بدلاً من تنازع الأدوار [٤٨].

فالمطلوب رؤية مستقبلية يستطيع المقاومون وبكل صور المقاومة تقديمها. رؤية يتم تقديمها للعالم بعد هذا التعاطف العالمي مع المقاومة، وهذا التعاطف يشمل تنوعاً هائلاً يحتاج لرؤية قائمة على خطاب إنساني، قادر على مخاطبة كل هذا التنوع. وتأطير مؤسسي يكفل له الدوام وتحويله إلى تأثير سياسي في الحكومات داخلياً وخارجياً. وعلى قوى المقاومة بعد نصر تموز ٢٠٠٦ وغزة

---

(٤٤) عبدالله الأشعل، "فلسطين: من ينهي العلاقة العدمية بين حصار وهدنة وحوار"، صحيفة الحياة، بيروت، ٥-١- ٢٠٠٩ .
(٤٥) عزمي شو، "في ما خص مأزق الداخل الفلسطيني"، صحيفة الحياة،بيروت ، ٢٠-١-٢٠٠٩ .
(٤٦) المرجع نفسه.
(٤٧) السيد عليوة، "تداركاً لحرب باردة عربية – عربي"، مرجع سبق ذكره.
(٤٨) المرجع نفسه .

٢٠٠٩ التفكير بهدوء وروية ومراجعة الحسابات بأمانة فقد بدأت مرحلة جديدة تحتاج إلى عقل بارد وعاطفة تلجمها المصالح العليا للأمة العربية.

أن نهاية النظرية الأمنية الإسرائيلية، قائمة على هزيمة العرب. وبناء على ذلك، فقد انصرفت الجهود كلها أولاً نحو بناء جيش إسرائيلي كبير قياساً مع الحجم الطبيعي لدولة إسرائيل. وبدلاً من الاحتفاظ كما هو مألوف في سائر الدول الطبيعية في العالم بنحو نصف بالمئة من رجالها في الجيش، فإن إسرائيل تحتفظ بنحو٥% ومن هنا يملك الجيش الإسرائيلي حالياً عدداً من الجنود والطائرات والمدافع والدبابات، يفوق ما تملكه بريطانيا. وقد أدى ذلك إلى طرح الإشكالية التالية :

كيف يمكن لدولة إسرائيل أن تبني جيشاً أكبر بعشرة أضعاف مقارنة بحجم وتعداد إسرائيل من أي دولة أخرى من دون أن يؤدي ذلك إلى انهيار الاقتصاد الإسرائيلي ؟

الجواب ببساطة هو إقامة جيش لا يتقاضى أفراده رواتب، وأن يكون المكونان الرئيسان للجيش معتمدين على جنود خدمة إلزامية، وعلى تشكيلات احتياط، ويتم سد بقية الفجوات بواسطة "ميزة التراث اليهودي الذي يربى على التفوق والثقافة الواسعة والنظرة النقدية والمتشككة للعالم"[٤٩] . إذ إن الاستمرار في الاستثمار في الأمن على خلفية النزاع مع العرب هو أشبه بحجر الرحى على عنق إسرائيل. فهو يقوص نموها الاقتصادي، ويثقل كاهل موازنتها العامة، ويحد من تطورها الاجتماعي، ويشوش رؤيتها ويضر بمكانتها الدولية، ويستنزف جيشها ويفتت ساحتها السياسية، ويهدد مستقبل وجودها كدولة قومية يهودية . إذ إن إسرائيل تدفع ثمناً باهظاً جراء استمرار النزاع وجراء التلكؤ في تطبيق حل يستند إلى تقسيم عادل ومتفق عليه [٥٠].

يتجه التفكير إلى تفوق السلاح، ومنذ مشروع محمد علي في مصر، كان التركيز على امتلاك السلاح المتقدم وتصنيعه أو استيراده. ولكن، السلاح وحده يمكن كسره بسلاح أكثر فعالية منه، إنه ظاهرة تقدم معزولة وأشبه ما يكون بذراع طويلة في جسم ضئيل لا يحسن استخدامها، لذلك فالتربة العامة للمجتمع بحاجة إلى تفعيل وتنشيط وتحديث. إنها مسألة زمن ولا توجد حلول سحرية عاجلة. لقد احتاجت أبرز القوى الآسيوية كاليابان والصين والهند إلى زمن غير قصير لتتحول بالرؤية السليمة، والعمل المكثف إلى قوى ذات وزن وثقل. ولم تركز على السلاح وحده، بل عملت من أجل النهوض الشامل وامتلاك مقومات القدرة الحضارية الحديثة، وهي الآن لا يمكن كسرها لأنها بهذه المواصفات [٥١].

القسم الثاني

---

(٤٩) أنطوان شلحت، "حرب لبنان الثانية جاءت لكمة في وقتها"، صحيفة الحياة، بيروت، ١١-١-٢٠٠٩ .

(٥٠) يمكن مراجعة تقرير مركز أدفا للمساواة والعدالة الاجتماعية في تل أبيب ، والتقرير تحت عنوان، "ثمن الاحتلال عبء النزاع الإسرائيلي الفلسطيني صورة ومعطيات شاملة"، ٢٠٠٨ .

(٥١) محمد جابر الأنصاري،"قراءة في مؤشرات أحداث غزة"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٥-١-٢٠٠٩ .

حقبة الخيار الواحد والخيارات البديلة

يبقى الأكثر تجسيداً لضعف القدرة العربية على التكيف ما اتسمت به الحركة العربية من التركيز على خيار واحد لحقبة طويلة من الزمن، وعدم التفكير في خيارات بديلة إلا بعد تأكل فرص هذا الخيار تماماً، ما يعني جمود الوعي إذ تهيمن ذهنية مغلقة تتمسك بخيار وحيد أيا كان جوهره وترفض ما عداه، ثم ما تلبث أن تقوم بتبديله فترفضه تماماً ولفترة طويلة يتم فيها إعلاء نقيضه أو وريثه، حسب الرسالة الإسرائيلية وعلى طريقة إما وإما، وربما مع سوء التوقيت الذي لازم ممارسة هذا الخيار الوحيد، وذلك على نحو ما كان من ثبات طويل على خيار الحرب إذ ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ورفض التفكير مطلقاً في السلام.

ثم الانقلاب الكامل على هذه المعادلة باتجاه توكيد السلام كخيار إستراتيجي جديد ووحيد مع استبعاد لخيار الحرب. وفي الحالتين كان تجاهل الخيار الثالث الأهم وهو التنمية بحجة الصراع الممتد الذي لا يترك لمجتمعاتنا جهد أو وقت. فلا صوت يعلو على صوت المعركة ويتم استبعاد كل الخيارات المتاحة لصالح خيار وحيد فإنها لا بد وأن تقود الواقع إلى الجمود عندما تعوزنا القدرة على فرض هذا الخيار وبالذات عندما يتعلق هذا الخيار بقضية كالحرب أو السلام.

فالحرب خيار بالغ الخطورة يحتاج إلى شروط موضوعية على رأسها القدرة الإستراتيجية الشاملة وكذلك هو حال خيار السلام، والإستراتيجية الإسرائيلية كانت تمتع بمرونة ممثلة في خياراتها المتعددة وقدرتها على المبادرة بخيارات متعددة راوحت بين الحرب والسلام والتنمية فكانت تستعد للحرب من دون عسكرة مطلقة، وتدعي الرغبة في السلام دون مصداقية حقيقية وتمارس التنمية دون كلل. أي أنها مارست الحرب والسلام والتنمية في الوقت نفسه.

تكمن المشكلة فيما أن مجتمعاتنا بما فيها المجتمع الفلسطيني ما زالت تسعى إلى القضاء على إسرائيل ؟ وأما أننا قد قبلنا بأن مستقبل مجتمعاتنا كافة يخدمه صلح مع المجتمع الإسرائيلي القائم كحقيقة ؟ فالمسألة في ظل هذا الواقع قد تكون هي في فض الأمور العالقة والبعض منها خطير فالمسألة قائمة على الإشكالية الآتية: هل الصراع العربي الإسرائيلي قائم على أساس حرب وجود أم حرب حدود؟

المبحث الأول: حرب حدود أم حرب وجود

الثقافة الإسرائيلية دون شك، مفعمة بالأعباء التاريخية التي تجعل من انحدارها باتجاه السلوك المتغاضي عن حقوق الآخرين واقعاً متكرراً. والهدف الأساسي من حروب اسرائيل [٥٢]، هي التأكيد على هيمنتها العسكرية على المنطقة. ويكمن الردع من ناحية إسرائيل، في قلب العقيدة الإسرائيلية الأمنية، فهي تريد أن تحظى بالحرية الكاملة لتضرب دون أن تلقى أي رد بالمقابل، وهي تعتمد على قوة متغطرسة لحماية نفسها، وترفض أي نوع من أنواع الردع المتبادل، وتعارض أي توازن إقليمي للقوة قد يجبرها على التنازل والاعتدال في أفعالها [٥٣].

والركيزة الجوهرية في المشروع الإسرائيلي هي أن إسرائيل لم تقبل في أي يوم من الأيام، أن تكون جزءاً من هذه المنطقة. ولم تكتف بالمطالبة بأن يعترف بها دولة لليهود فقط، وإنما الإقرار بها دولة متفوقة على غيرها، لشعب متفوق على غيره وهذا مشروع عنف لا ينتهي. لقد خلقت إسرائيل كحل نهائي للمسألة اليهودية في أوروبا، لكنها خلقت مشكلة لا نهاية لها للفلسطينيين والعرب حيث تترك فكرة الحل النهائي كشبح موت في هذه المنطقة وفي العالم كله. ومعلوم أن لديها صيغتها الخاصة من الحل النهائي قائمة على تسفير الفلسطينيين خارج وطنهم أي الترانسفير وهو ما يعادل إبادة سياسية للشعب الفلسطيني [٥٤].

ومن أهم تداعيات الحرب الإسرائيلية على غزة ليس القضاء على المقاومة فحسب. ولكن أيضاً، القضاء على حلم بناء الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس، لكي يصبح الخيار الأردني الخيار الأكثر واقعية من وجهة النظر الإسرائيلية، حيث كان مؤكداً في حال انتصرت إسرائيل في الحرب أن يؤدي ذلك إلى إلغاء خيار حل الدولتين الإسرائيلية والفلسطينية. فإصرار الحكومات الإسرائيلية المتتالية على إقامة إسرائيل الموسعة من خلال ضم التكتلات الاستيطانية الكبرى في الضفة الغربية وإكمال بناء الجدار الأمني، والاحتفاظ بالسيطرة على غور الأردن وفيما إذا استطاعت الحكومة من تحقيق هذه الأهداف بتأييد من الولايات المتحدة سوف يؤدي إلى منع تحقيق إقامة الدولة الفلسطينية الحقيقية [٥٥].

فإسرائيل ترفض حل الدولة الواحدة حيث الشعوب متساوية وحيث ترتكز الديمقراطية إلى كل رجل صوت. بدلاً من ذلك يريد الإسرائيليون من العالم، أن يبارك إسرائيل كدولة يهودية محض حيث ليس لأي آخر مواطنية متساوية هكذا الأمر بكل بساطة [٥٦]. وبعض القادة الإسرائيليين، يؤمن أن

---

(٥٢) صلاح سالم، "ستون عاماً على الصراع العربي الاسرائيلي: خطأ استراتيجية الخيار الوحيد"، صحيفة الحياة، بيروت، ٢٠-٦-٢٠٠٨ .
(٥٣) باتريك سيل، "حرب إسرائيل المجنونة على غزة"، صحيفة الحياة،بيروت، ٢-١-٢٠٠٩ .
(٥٤) ياسين الحاج صالح، "مشروع لقتل الناس جميعاً"، صحيفة الحياة، بيروت، ٤-١-٢٠٠٩ .
(٥٥) توفيق المديني، "خطر الدولة الفلسطينية البديلة في الأردن"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٩-١-٢٠٠٩ .
(٥٦) راغدة درغام، "إنقاذ إسرائيل وحماس من المأزق يحتاج جهداً عربياً ودولياً"، صحيفة الحياة، بيروت ، ٢-١-٢٠٠٩ .

حل الدولتين لن يعالج المشكلة الديمغرافية داخل دولة إسرائيل. لذلك يرفضونه، ويرغبوا بجعل الأردن الوطن البديل للفلسطينيين، وأن يدفعوا فلسطيني إسرائيل إلى تلك الدولة بأية وسيلة ممكنة [٥٧].

ولقد حذر عسكريون أردنيون متقاعدون، عبر اللجنة الوطنية للمتقاعدين العسكريين، التي تضم نحو ١٤٠ ألف عسكري أردني متقاعد من تداعيات السياسة الإسرائيلية الهادفة إلى تهجير الفلسطينيين من أبناء الضفة الغربية إلى الأردن، ومن الضغوطات التي تتعرض لها المملكة من أجل تجنيس المزيد من الفلسطينيين في الأردن . وعتبروا أن المشروع الإسرائيلي القديم . الجديد لتصفية القضية الفلسطينية على حساب الأردن، تحول مؤخراً، إلى خطط يجري تنفيذها بالفعل، سواء على المستوى الاستراتيجي بمنع قيام الدولة الفلسطينية وتحويل الضغط الدولي باتجاه الأردن، أو على المستوى الميداني بمواصلة سياسات الحصار والتهجير لأبناء الضفة الغربية باتجاه الأردن، أو على المستوى السياسي والإعلامي بشن حملة منظمة ضد المملكة من اجل تجنيس المزيد من المهجرين الفلسطينيين، وفرض ما يسمى المحاصصة السياسية في ظل ما يخطط له من أغلبية ديموغرافية فلسطينية.وأن الإجراءات الإسرائيلية الأخيرة تشكل خطراً داهماً على مستويين :

الأول: حرمان أبناء الضفة المقيمين في الأردن من حقهم في العودة والإقامة في الضفة، بحجة أنهم حاصلون على جنسية أخرى.

الثاني : تهجير المزيد بحجج مختلفة، وأن اخطر ما في تلك السياسة الإسرائيلية أنها قد تجد لها أنصاراً يتكاثرون في الأردن ، والذين يعبرون صراحة عن مطالب التوطين والمحاصصة، بل أيضاً قد يلجأون إلى الاستعانة بالأميركيين والإسرائيليين لهذا الغرض[٥٨].

واعتبر العسكريون الأردنيون المتقاعدون انه آن الأوان لدسترة قرار فك الارتباط وإصدار القوانين اللازمة لتطبيقه نصاً وروحاً، بما في ذلك إنهاء تداخل المواطنة مع الضفة الغربية وتداخل النقابات والهيئات والأحزاب ، مشيرين كذلك إلى أن قرار فك الارتباط لعام ١٩٨٨، والناشئ أصلاً عن طلب منظمة التحرير الفلسطينية وقرار القمة العربية لعام ١٩٧٤، هو قرار مفصلي في النظام السياسي الأردني، من حيث انه أنهى وضع والتزامات الوحدة مع الضفة قانونياً وإدارياً وسياسياً. ولمزيد من المعلومات حول هذا البيان الصادر عن اللجنة الوطنية للمتقاعدين العسكريين والذي يعتبر سابقة في الحياة السياسية الأردنية [٥٩].

---

(٥٧) صحيفة السفير،بيروت، بتاريخ ٣-٥-٢٠١٠ .
(٥٨) المرجع نفسه .
(٥٩) صحيفة السفير،بيروت، بتاريخ ٣-٥-٢٠١٠ .

ويلاحظ منذ فك الارتباط رسمياً بين الأردن والضفة الغربية عام ١٩٨٨ أصبحت مصلحة الأردن الأساسية والحيوية تقضي بإقامة دولة فلسطينية مستقلة قابلة للحياة والاستقرار. وجاء قرار فك الارتباط القانوني والإرادي مع الضفة الغربية بعد استلام منظمة التحرير مسؤولية تمثيل الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية . كذلك إعلان المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر الذي عقد في الجزائر في عام ١٩٨٨عن قيام دولة فلسطين. واعترف أكثر ١٠٠ دولة في العالم بهذه الدولة، وتم فتح العديد من السفارات الفلسطينية في تلك الدول، وساهم هذا التطور في توطيد شرعية الكيانية الفلسطينية وإبرازها . إلى أن جاء الاعتراف الإسرائيلي بالمنظمة، وبالوجود الفلسطيني بشكل رسمي نتيجة للاعتراف المتبادل بين المنظمة والحكومة الإسرائيلية بعد التوقيع على اتفاقية أوسلو. ليضع حد للتجاهل الإسرائيلي للوجود الفلسطيني، وللمحاولات الإسرائيلية المتكررة في إيجاد بديل عن منظمة التحرير[٦٠].

وفي حال، لم تكن هناك عملية تفاوض جدية مرتكزة على توازن إستراتيجي عسكري بين الطرفين، بالإضافة إلى إشراف دولي ملائم، فلن تقوم دولة فلسطينية متكاملة بل سيكون هناك "غيتوفلسطيني" وكيان فلسطيني مبعثر. وسيجد الفلسطينيون أنفسهم إمام خيارين : إما الخضوع ولفترة طويلة غير محددة للاحتلال المباشر وغير المباشر. وإما الهجرة للأردن، مما يمهد لقيام دولة فلسطينية بديلة في الأردن فيما إذا اعتمد الإسرائيليون هذا الخيار، لتسهيل ضم أراضي واسعة من الضفة الغربية إلى الدولة اليهودية [٦١].

وإذا ما سقط خيار الدولة الفلسطينية المستقلة، فسيكون هناك خطر جدي من حل المشكلة الفلسطينية على حساب الأردن. مما يقلب المعطيات وموازين القوى جذرياً في الأردن والمنطقة[٦٢]. فهاجس الخيار الأردني هو السيناريو الأسوأ، وما يعزز هذه القراءة هو صدور الكثير من المواقف الأمريكية والإسرائيلية، التي تتحدث عن خيار الدول الثلاث باعتباره الأفق الوحيد الممكن لحل القضية الفلسطينية [٦٣].

فلا بد على الأردن تنويع سلة الخيارات الإستراتيجية. والخروج من حقبة الخنادق الإقليمية، واستعادت الهدوء في العلاقة مع سورية، والعودة إلى بناء علاقات متينة مع كل أطياف العمل السياسي في فلسطين، وتخفيف حدة التوتر مع إيران أو المقاومة في لبنان. فالاستدارات الهادئة في رهانات الأردن الخارجية ضرورية وملحة. لكن، دون أن يخرج ذلك أو يكون على حساب اصطدام

---

(٦٠) راغدة درغام، "إنقاذ إسرائيل وحماس من المأزق يحتاج جهداً عربياً ودولياً"، صحيفة الحياة، بيروت، ٢-١-٢٠٠٩ .

(٦١) توفيق المديني، "خطر الدولة الفلسطينية البديلة في الأردن"، مرجع سبق ذكره .

(٦٢) إذ أن الحصول على نصف أو حتى أقل من أراضي الضفة الغربية مع كامل سكانها سيكون بمثابة انتحار فانضمام نحو ٢.٥ مليون فلسطيني من سكان الضفة إلى الأردن سوف يؤدي إلى تغيير التوازنات في المملكة والمنطقة بأسرها.

(٦٣) الدول الثلاث يقصد بها إسرائيل، وإلحاق الضفة بالأردن وغزة بمصر.

الأردن بصلاته الإستراتيجية مع السعودية ومصر. فالعدوان الإسرائيلي على غزة كان بمثابة المؤشر في السياسة الأردنية، إيذاناً بالراهانات الإستراتيجية الأردنية القديمة، فهي وإن لم تلب طموح الأردن فإنها على الأقل أقل مجازفة وأكثر أماناً [٦٤].

المبحث الثاني : المساءلة الذاتية

إن الغرب حيث انطلقت تاريخياً عملية التحديث له أطماعه الاستعمارية التي ظهرت وتظهر ولكن له وجهه الحضاري الذي ينبغي عدم إغفاله في تقدم الشعوب. فالأمم الحية قاومت استعمار الغرب بيد واقتبست حضارة الغرب باليد الأخرى. بل في بعض الأحيان قاومت استعماره بحضارته. وعندما نغض الطرف عن جانبه الحضاري ويستغرقنا طابعه الاستعماري فحسب، فإننا نخسر جانباً مهماً من تطور النوع الإنساني.

إذا كانت الحضارة الغربية في طور الانحطاط والانهيار كما يحلو لنا أن نكرر، فإنها لم تكن كذلك عندما نهضت على أساسها أمم الغرب واقتبست من تحديثها أمم الشرق. وما زالت تقدم نموذجاً تاريخياً يمكن تأمله، وإن صح أنها في طور انحطاط فهو انحطاط أخلاقي وروحي

ولكن هل تعاني الحضارة الغربية انحطاطاً علمياً وتكنولوجياً مثلاً ؟

إن كل ظاهرة حضارية لا بد من اختراقها أي التعرف إليها بعمق وبصفة حميمة سواء كانت في الغرب أو في الشرق. وهذا لا يعني تبنيها والخضوع لها، بل إنه يعني ويهدف إلى تقوية الفكر والخبرة منها، وهضم دروس تلك التجربة للاستفادة منها. وكذلك لتجنب سلبياتها أو لاستيعاب إيجابياتها، فمن لم يعرف الجاهلية لم يتفهم الإسلام [٦٥].

غير أن تأمل الواقع العربي يكشف عن قدرته المحدودة عملياً على هذا الصعيد. سواء في الإطار الوطني أو القومي، إذ عمليات التكيف مع البيئة الدولية غالباً ما تأتي بطيئة وغير حثيثة ووليدة القسر لا الفهم، الضرورة لا الخيال، مرتبطة بالدفاع السلبي عن الذات وليس المبادرة الإيجابية نحو المستقبل. وهو الأمر، الذي يفسر كثيراً من الأزمات المتفجرة داخل النظام العربي ذاته. ولقد كانت الأيديولوجيا العربية القومية بطابعها تقف تضاد مع وجود إسرائيل، ولا تعترف به، لكنها

---

(٦٤) محمد أبو رمان، "الحرب على غزة تعيد بناء الرهانات الأردنية"، صحيفة الحياة، بيروت، ٢١-١-٢٠٠٩ .
(٦٥) محمد جابر الانصاري،"لا مخرج للعرب إلا بامتلاك مقومات القوة"، صحيفة الحياة ، بيروت ، ١٨-١٢-٢٠٠٨ .

تحولت إلى القبول بفكرة التعايش، أما الأيديولوجيا الإسلامية فما تزال تنطوي على نزعة رفض مطلقة، فما السبيل للخروج من الحلقة المفرغة [٦٦] ؟

إذ تتخذ الاستجابة العربية في مواجهة التحديات الإقليمية والدولية والتناقضات الداخلية أنماطاً سلبية. وهي نمط من الثقافة، تفتقد للعقلانية السياسية، وما ترتبه من موضوعية وتجانس. ولقد فتح عجز العرب السياسي الباب أمام إيران وتركيا لسد الفراغ الحاصل، كما أن اليأس من غياب تفاعل الحكومات مع الشارع يؤدي إلى التطرف [٦٧]. كذلك يقوم في المقابل على العاطفية والوجدانية الزاخرة بالانقطاعات، والقابلة للانقلابات في الرؤى والمواقف، وجمعيها سمات ثقافة تقليدية، تقوم في الجوهر على النموذج المعرفي الكلاسيكي، والذي يفتقد لشكية وتجريبية وانضباط النموذج المعرفي الحديث، ومن ثم موضوعيته وتجانسه واستمراريته وتماسكه. وهو فقدان لا يعوض عنه مجرد حشد أجهزة الكمبيوتر والاتصال بشبكات المعلومات، والذي لا يعني على المستوى العلمي، إلا القدرة على التوظيف النفعي لثمار العلم أو منتجاتة، دونما انتماء إلى الروح الحديثة التي صنعها هذا النموذج نفسه [٦٨].

جلد الذات هو الذي يدفع إلى الهروب من رؤية الآخر، وربما يكون الشعور بالعجز، هو أساس ذلك. فالخوف من حماس وربما من الأصولية الإسلامية، هما اللذان يفرضان على البعض الميل لرفض مقاومتها وكل المقاومة. ولكن يجب أن نرى هدف الآخر، وأن نعرف ما يريده وما يعمل على تحقيقه، فهذا الموقف من المقاومة يخدم ويصب في مصلحة سياسية الدولة العبرية . والمعركة ليست مع حماس ولا يجب أن تكون، رغم كل التناقضات المطروحة خلال ممارستها الحكم. بل المعركة ضد الاحتلال، الذي يعمل على أفراغ فلسطين من شعبها هذا هو الأساس. ومن هنا نتلمس الأهداف، فهذا المنطق من قبل الأفراد أو الحكومات في التعامل مع أحداث حرب غزة هو سطحي إلى حد أنه برر وخدم الأهداف الإسرائيلية .

تحيط بالمسألة الفلسطينية صعوبات فائقة واستثنائية بكل المقاييس، لكونها مسألة عالمية تعريفاً وتأسيساً، ترتبط بلا فكاك بالمسألة اليهودية بكل أبعادها، وما تجره خلفها من عقد ذنب تاريخية ومن ابتزاز اللاسامية، ومن وظيفة مبتكرة لإسرائيل لمكانتها في مكافحة الإرهاب [٦٩]. ونتصور أن تحسناً كبيراً في محصلة الصراع العربي مع إسرائيل كان ممكناً تحقيقه، بالقدرة العربية الشاملة نفسها، لو أن الذهنية العربية كانت منفتحة وقادرة على المزاوجة بسلاسة بين الأهداف والوسائل. على نحو لا يجعل من وضوح الأهداف قيداً على تعددية الوسائل، ومن ثم كان لديها القدرة على التعامل مع أكثر من خيار في الوقت نفسه. على نحو يفتح الباب أمام السلام المشروط منذ البداية

---

(٦٦) فالح عبد الجبار، "على هامش الحرب في غزة: الأسئلة الصعب"، صحيفة الحياة، بيروت، ٤-١-٢٠٠٩ .
(٦٧) باتريك سيل،"مخاطر العجز العربي أمام تهديدات إسرائيل"، صحيفة الحياة، بيروت، ٥-١-٢٠٠٨ .
(٦٨) صلاح سالم،"ستون عاماً على الصراع العربي الاسرائيلي: خطأ استراتيجية الخيار الوحيد"، صحيفة الحياة، بيروت، ٢٠-٦-٢٠٠٨ .
(٦٩) سلامة كيلة، عن هدف هذه الحرب على غزة"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٤-١-٢٠٠٩ .

بقدر ما كان يفتحه على باب الحرب. التي يجب أن تبقى طرفاً بديلاً ولو صعباً للسلام إذا كان مستحيلاً، لأن الاستعباد النهائي لخيار الحرب الصعب، يجعل السلام أكثر استحالة . فعندما تكون أمام عدو مراوغ يتسم وعيه التاريخي بمزيج من الأنانية والتعقيد الذي يصل مرتبة الأسطورة [٧٠].

فإنشاء بعثات دبلوماسية عربية في العراق جاء نتيجة ضغط أميركي على بعض الدول العربية، وليس عن تعبير حقيقي لرؤية إستراتيجية عربية للقضية العراقية [٧١]. ولقد كشف احتلال العراق كما أن كشف أحداث أخرى في التاريخ العربي المعاصر، حقيقة لا يمكن إنكارها، وهي أن بعض أنظمة الحكم العربية فقدت القدرة على الابتكار والتجديد في صنع السياسة الخارجية، المتعلقة بالأمن القومي تحديداً، فهي لم تصنع يوماً سياسة قابلة للتصديق والبناء عليها. بل العكس، جمدت أوضاعاً وأهدرت طاقات وأجبرتنا على أن نبحث في وقت الأزمات عن طرف غير عربي. يتحرك نيابة عنا ويتفاوض باسمنا ولابأس أن يكون له صوت بيننا وعلينا. وها نحن وقد حشرنا بسبب أزمة العراق وغزة وفلسطين والسودان ولبنان واليمن، في زاوية لا نملك القدرة على التفلت منها. لجأنا إلى تركيا أخيراً في أحداث غزة لتفاوض وربما تقرر نيابة عنا ولا يخفى أن لبعضنا أملاً ورغبة في أن تلعب انقرة نيابة دور مقارعة النفوذ الإيراني والإسرائيلي طبعاً على حساب أمتنا [٧٢].

ثمة مجال للحديث عن تأثير التوتر بين إيران والولايات المتحدة على حال الفرز العربي؟ الأرجح أن الحرب الإسرائيلية على غزة قللت من رهان بعض العرب على انتظار ما سينتج عن هذا التوتر، وربما يصبح الانقسام العربي وسيلة للتأثير على مجريات هذا التوتر وليس العكس؟ فالأحداث المقبلة في المنطقة لم تعد تسمح للعرب بانتظار نتائج صراعات الآخرين للتحرك [٧٣]. ويجب إبعاد العراق وفلسطين ولبنان واليمن والسودان عن التمذهب، فجوهر أبعاد هذه القضايا المحقة تسقط عندما تحتكر باسم دين أو مذهب أو عقيدة. هذا أيضاً يتناقض ويناقض بكل تأكيد، جعل القضية أرض وقف لأي كان، هذه القضايا موقوفة لكل الأحرار وجوهرها حضاري إنساني وميدان المساهمة في معركتها مفتوح لكل مؤازرة بعيداً عن الدين واللون والاعتقاد [٧٤].

لا بد بل تتكرر الحاجة، إلى مساءلة ذاتية صادقة. فالتردي في الثقافة العربية إزاء إسرائيل والتاريخ اليهودي، بما في ذلك رفض أخذ العلم بالمكانة المعنوية والدينية لفلسطين في الثقافة اليهودية، يجب أن يأخذه من المفكرين والنخب الحيز الضروري من أجل إعطاء الصورة الإنسانية عن الحضارة العربية في تاريخها وحاضرها [٧٥]. فمنذ نشأة إسرائيل لم تنجو توجهاتها وسلوكها من

---

(٧٠) صلاح سالم، المرجع السابق الذكر.
(٧١) عبدالله الأشعل ،"هل يجوز تطبيع العلاقات العربية مع العراق "، صحيفة الحياة، بيروت، ٢٧-١-٢٠٠٩ .
(٧٢) جميل مطر،" حتى لا نلوم أنفسنا"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٢-١-٢٠٠٩ .
(٧٣) داود الشريان،"إنه الفرز"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٨-١-٢٠٠٩ .
(٧٤) أحمد جابر، "صناعة حصار القضية الفلسطينية"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٢-١-٢٠٠٩ .
(٧٥) حسن منيمنة، "خطأ حماس وخطيئة الثقافة العربي"، صحيفة الحياة، بيروت، ١١-١-٢٠٠٩ .

انتقاد نخبة من اليهود في العالم لها، بصفتها دولة عنصرية وقد تعرضت سياساتها القمعية ضد الفلسطينيين إلى هجوم حاد من مثقفين يهود، نأوا بأنفسهم عن دولة تستغل آلام الشعب اليهودي وكونه ضحية للنازية لاحتلال أراض شعب آخر وممارسة أبشع أساليب القهر عليه. ولقد أعلن في بروكسل في أيار ٢٠١٠عن قيام أول تجمع يهودي أوروبي يطالب بالسلام مع الفلسطينيين على أساس دولتين ووقف الاستيطان باعتباره خطأ سياسياً وأخلاقياً.

وعلى غرار منظمة «جي ستريت» اليهودية الأميركية، تحمل المنظمة الجديدة اسم «جي كول» بما يشير إلى النداء الذي وقعه حوالى ثلاثة آلاف من المفكرين والعلماء والإعلاميين اليهود في أوروبا .وتضم قائمة الموقعين على النداء أسماء بارزة في النخبة اليهودية الأوروبية وأهمها الفيلسوفان الفرنسيان المعروفان برنار هنري ليفي وألان فينكلكراوت. ويعتبر الرجلان من كبار المدافعين عن إسرائيل في الأوساط الثقافية في فرنسا. كما وقع على العريضة دانييل كوهن بنديت (داني الاحمر)، زعيم ثورة الطلاب في الستينيات وعضو البرلمان الأوروبي اليوم، وعضو برلمان آخر يدعى فينسنت بيلون ورجال قانون، وصحافيون وغيرهم[٧٦].

ويدعم المبادرة الاوروبية عدد من الاكاديميين والشخصيات العامة في إسرائيل بينهم البروفيسور زئيف شترنهل، والبروفيسور ايلي بار نفي والمسؤول السابق في وزارة الخارجية، آفي بريمور .ويبدو أن إعلان المنظمة الجديدة نوع من التأكيد على الظاهرة التي بدأت في العام 2008بـ «جي ستريت» في أميركا وامتدت اليوم إلى أوروبا وتنادي بالسلام ودعم إسرائيل في الوقت نفسه. وأن التشابه بين «جي ستريت» الأميركية و«جي كول» الأوروبية ليس صدفة لأنهما ينطلقان من إدراك بانسداد آفاق التسوية في المنطقة مما يعرض إسرائيل لأخطار وجودية . وأسمى المثقفون اليهود عريضتهم باسم «نداء العقل» وعقدوا من أجلها مؤتمرات عديدة في مدن أوروبية مختلفة. وجاء فيها، " أن إسرائيل تتعرض لتهديدات وجودية.

ومن دون التقليل من أهمية التهديدات من الاعداء الخارجيين . نحن نعرف ان الخطر يوجد أيضاً في الاحتلال وفي استمرار انتشار المستوطنات في الضفة الغربية وفي شرقي القدس. هذه السياسة مغلوطة اخلاقياً وسياسياً على حد سواء وهي تغذي المسيرة غير المعقولة في نزع الشرعية، والتي تمر بها إسرائيل في العالم. مستقبل إسرائيل منوط بتحقيق سلام مع الفلسطينيين على أساس دولتين للشعبين. وبينما القرار النهائي هو بأيدي مواطني إسرائيل، التزامنا لاسرائيل كيهود في الشتات يستوجب علينا العمل باتجاه حل عادل. الدعم التلقائي لسياسة حكومة إسرائيل خطير ولا يخدم المصالح الحقيقية لإسرائيل. هدفنا هو خلق حركة اوروبية تنقل صوت المنطق إلى قلوب

(٧٦) حلمي موسى،" ٣ الاف يهودي يوقعون نداء العقل"،صحيفة السفير،بيروت ،٣-٥-٢٠١٠ .

الجميع. الحركة غير حزبية. هدفها ضمان وجود إسرائيل كدولة يهودية وديموقراطية وهذا لن يحصل إلا بإقامة دولة فلسطينية سيادية وقابلة للحياة ". وكذلك قال ألان فينكلكراوت:

"أنني ترددت جداً قبل أن أضع توقيعي على النداء، لكنني فكرت أن هذا مهم وجوهري . فمن المهم لنا أن نقول، كيهود إننا قلقون على الوضع القائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين. إن إسرائيل جزء منا.ولكن لماذا يتعذر على إسرائيل أن تعلن أنه لا مستوطنات بعد اليوم [٧٧] ؟

ومن أبرز الأسماء المعروفة في هذا المجال، المفكرة الألمانية الراحلة هنه ارنت والأكاديمي الأميركي نعوم تشومكي، بالإضافة إلى الأجيال اللاحقة التي كان لها تأثير عالمي وليس في مجتمعاتها فقط . ففي كندا وأميركا هناك الصحفية والكاتبة والناشطة الشهيرة ناعومي كلاين التي أثارت اهتماماً عالمياً في الغرب لمقالاتها ومؤلفاتها التي رشحت لعدة جوائز كان آخرها كتابها "عقيدة الصدمة" [٧٨].

وقد قاد الأكاديمي ستيفن روز وزوجته الأستاذة الجامعية هيلاري روز، حملة واسعة في الأوساط الأكاديمية الجامعية منذ عام ٢٠٠٢، لمقاطعة الجامعات والمعاهد في إسرائيل، احتجاجاً على استمرار الاحتلال الإسرائيلي لأراضي فلسطينية. وسوء معاملة الجهاز الأكاديمي للطلبة الفلسطينيين، كذلك يوجد الكاتب البروفيسور أفي شيلم أستاذ العلاقات الدولية بجامعة أكسفورد، وهو محارب سابق في الجيش الإسرائيلي [٧٩].

وهناك الكثير من المثقفين اليهود والذين ناقشوا بجرأة المسلمات التي نشأوا عليها في إسرائيل، فرفضوا الخطاب الصهيوني، وفضحوا عنصريته، ولا بد من إبراز هذا الموقف من أجل إفشال المشروع الإسرائيلي في المستقبل. الذي قد يعتمد يوماً ما على نبش اليهود أنفسهم من أصحاب الضمير في بنية دولة، اعتمدت في ولادتها على قواعد شاذة لا تصمد طويلاً أمام طبيعة المنطقة التي زرعت فيها، إلا إذا اضطرت لتغيير سلوكها وبنيتها باتجاه كائن سياسي طبيعي من غير تشوهات [٨٠].

ولكي تنجح الدبلوماسية العربية في تحقيق مصالحها وحماية حقوقها تحتاج إلى رؤية استراتيجية تملك مقومات القوة وهي تملكها، ولكن للأسف، لا تملك القدرة والإرادة على توظيف واستعمال إمكاناتها . هذه الإستراتيجيّة قد نكون بأمسّ الحاجة لها في إدارة الصّراع مع إسرائيل عوضاً عن الحديث بأمور العرب والفرس .

---

(٧٧) حلمي موسى،" ٣ الاف يهودي يوقعون نداء العقل"،صحيفة السفير،بيروت ،٣-٥-٢٠١٠ .
(٧٨) الذي ترجم إلى ٢٧ لغة بالإضافة إلى وجود العديد من المثقفين اليهود في بريطانيا الذين انتقدوا ممارسات إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني .
(٧٩) غالية قباني، "عندما تميز شخصيات يهودية نفسها عن الخطاب الصهيوني"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٩-١-٢٠٠٩ .
(٨٠) المرجع نفسه .

فنحن نملك في جعبتنا الكثير من الخيارات الإستراتيجيّة التي تمكننا من تغيير طبيعة الصّراع العربي الإسرائيلي وإمساك زمام المبادرة، أقله لنبدأ من قناعة مفادها أنه بإمكاننا أن نبادر وأنّ لدينا الكثير من الخيارات والإمكانيّات ولكن تنقصنا الإرادة والرّؤية .

فالمعضلة تكمن في إشكالية ما مدى ودور الدبلوماسية العربية وتأثيرها في معالجة الأزمات والقضايا العربية قبل تأثيرها في تحقيق الإستراتيجية القومية؟

كما إن درجة الاستعداد الفلسطيني نفسه للقتال عالية جداً، ولا بد أن ياتي يوم وتدرس فيه بجدية وليس بالابتذال القائم حول ثقافة الموت المزعومة. تلك الروح التي حملت الناس في لبنان ٢٠٠٦ على الصمود في وجه أطنان القنابل ثم سجلت مأثرة رد الاجتياح الأرضي، وهي نفسها ما يحرك هؤلاء الشبان في فلسطين المؤكدين على حقهم في المقاومة على الرغم من أن الظروف ليست لصالحهم في أي حساب موضوعي [٨١] .

وهناك رهان إستراتيجي على حرب قادمة. يجب على إسرائيل القيام بها لإعادة الهيبة العسكريّة المفقودة بعد حرب تموز ٢٠٠٦ وحرب غزة ٢٠٠٩ ، ومن أجل اعادة فرض السّيطرة على المنطقة بكافة الوسائل. فمن الضّروري التمييز بين ما تريده إسرائيل وما تقدر عليه، ليس كل ما تريده إسرائيل تستطيع تنفيذه في الوقت والمكان والطريقة التي تريدها.

ممارسة التفكير المنهجي تبدو صعبة عند دراسة القضايا المتعلقة بإسرائيل، ونحن نكتشف يوماً بعد يوم حروب الإبادة التي تشنها إسرائيل على لبنان وفلسطين. كذلك الأمر بالنسبة إلى بعض المواقف العربية الخارجة عن أي منطق عقلاني لمصالح تلك الدولة الإستراتيجية عند مقاربتها لعلاقاتها ومواقفها من إسرائيل. والمنهج الذي يجب أن يتبع في هذا الوضع الشائك هو المنهج القائم على ثلاثية اللحظة التاريخية وطبيعة الموقف ونمط التيار الأساسي السائد في حقبة ما[٨٢].

الخاتمة

المؤشرات الواقعية تدفع للاعتقاد بأن الدول الغربية سوف تتسابق للحوار مع حركات المقاومة من منطلق الاتجاه نحو القوة دائماً . فقد استحضرت إيران بأكثر مما تقدر حتى لو أرادت، ونسبت إليها مساعدة أهل لبنان وغزة، وهذا أمر حقيقي. ولكن تم تصويرها، وكأنها قوى عظمى تستطيع

---

(٨١) نهلة الشهال، "ما تكشفه المواجهة من معطيات"، صحيفة الحياة، بيروت، ١-١-٢٠٠٩ .
(٨٢) السيد ياسين، "العرب بين التوافق والاختلاف"،صحيفة الحياة، بيروت، ١٨-١-٢٠٠٩ .

مواجهة الأميريكيين والإسرائيليين خارج حدودها، وتخترق العرب مشرقاً ومغرباً، وتستقطب كثرة من المسلمين ومعظم أفريقيا وبعض أوروبا . وهذا المنطق في بعض جوانبه مسيئاً إلى كرامة الأمة العربية، إذ صورهم وكأنهم بالضرورة مجرد أتباع لهذه أو تلك من القوى الدولية. كذلك فإن تضخيم دور إيران والتهويل به المراد منه صرف الأنظار عن ممارسات الاحتلال الإسرائيلي كي يؤدي ذلك إلى طمس الجرائم الإسرائيلية في لبنان وغزة ضد أهاليهم [٨٣] .

ستتبنّى إسرائيل قراءات إستراتيجيّة أخرى وفقاً للمعطيات الجديدة في المنطقة بعد هزيمتها في حربها على لبنان في صيف ٢٠٠٦، وعدم قدرتها على التخلص والقضاء على حركة الجهاد الإسلامي وحماس في قطاع غزة في بداية عام٢٠٠٨ . والرّؤية العسكريّة والسّياسيّة التي تتبناها إسرائيل الآن ناتجة عن تبديد الأوهام الإسرائيليّة حول إمكانيّة استعادة هيبة الرّدع لديها. فالتفوّق العسكري لم يضمن لها الحفاظ على أسس قوّة الرّدع وضمان الأمن القومي الذي تبنّته إسرائيل منذ الخمسينات، وانتصار المقاومة في لبنان وفلسطين حطم أهمّ عناصر الرّدع التقليدي عند إسرائيل ومنها :

١- الاعتماد على التفوّق الجوّي القادر على شلّ تامّ لحركة العدو.

٢- ضرب وتدمير البنى التحتيّة وقتل المدنيّين.

٣- ضرورة حسم المعركة خلال فترة زمنيّة قصيرة.

٤- تصدير الحروب بشكل كامل إلى أرض العدو.

فالمجتمع الإسرائيلي غير قادر على تحمّل الخسائر البشريّة ولا يتحمّل أي ضريبة في الدّاخل الإسرائيلي. فإسرائيل لا تملك عمقا جغرافياً إستراتيجياً، ولا تخوض الحروب دون تكبّد الخسائر البشريّة والاقتصاديّة، وهذا الواقع قد يتعارض مع المنطق العسكري القائل بأنّ ما لا تحققه القوّة تحققه القوّة الأكبر منها، وما لم تحققه الحرب الجوّيّة يمكن أن تحققه الحرب البرّيّة، وهذا ما تبني إسرائيل إستراتيجيّتها العسكريّة عليه [٨٤].

كذلك يوجد يهود اصطفوا خارج المشروع الصهيوني، وهو أمر يخيف إسرائيل أكثر مما يخيفها هجوم العالم بأكمله عليها وانتقاده لها. أنهم يهود يفككون خطابها الأيديولوجي، ويفندون حججها في الاستمرار باحتلال أرض الغير، واقتلاع شعوبها منها في مرحلة ورثت فيها نتائج ما بعد نهاية الاستعمار التقليدي [٨٥]. و**قد يكون المفكر اليهودي الفرنسي جاك أتالي قد ذهب أبعد من ذلك بقوله: "أن دولة إسرائيل لم تكن في يوم من الأيام هشة وضعيفة ومهددة مثل ما هو شأنها**

---

(٨٣) طلال سلمان، "قراءة في الحرب الإسرائيلية على غزة"، صحيفة السفير، بيروت، ٤-٣-٢٠٠٩ .
(٨٤) أمال شحادة، "غابي أشكنازي واستعادة هيبة الجيش الإسرائيلي"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٢-٢-٢٠٠٨ .
(٨٥) غالية قباني، "عندما تميز شخصيات يهودية نفسها عن الخطاب الصهيوني"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٩-١-٢٠٠٩ .

اليوم، على الرغم من تفوقها العسكري والتقني الكاسح، ووهن خصومها وضعفهم، فكل المشاهد المتخيلة تؤدي إلى النتيجة نفسها. وهي نضوب وتاكل الحلم الإسرائيلي، فإذا كان الاحتمال الوارد هو خيار الحرب، والمواجهة القادمة لن تكون حرباً تقليدية بين جيشين عاديين يحسمها التفوق العسكري، وإنما ستكون حرباً واشتباكاً شعبياً يومياً سيصل كل حي وشارع داخل إسرائيل نفسها وفي الأراضي الفلسطينية حيث المستوطنات الإسرائيلية"[٨٦].

ولكي تنجح الدبلوماسية العربية في تحقيق مصالحها وحماية حقوقها تحتاج إلى رؤية استراتيجية تملك مقومات القوة وهي تملكها، ولكن للأسف، لا تملك القدرة والإرادة على توظيف واستعمال إمكاناتها . إذ أثبتت الممارسة الإيرانيّة الإستراتيجيّة في كيفيّة التعامل مع المخاطر وطرق المساومة والمفاوضة، أنّ التسليم بالأمر الواقع والرّضوخ والاستجابة الدّائمة للدّول الكبرى ليس بالأسلوب الأمثل للتعامل. فالمصالح الدّولية الإستراتيجيّة لا تعرف الحب والكراهية. والدّرس الإيراني في ملفه النووي **لماذا لا يكون نموذجاً يحتذى به في إذكاء التفاوض وطلب الحدّ الأقصى للحصول على الحدّ الأدنى؟ ويبقى التساؤل الاستراتيجي عن أيّة حرب قادمة سيكون السؤال، هل هي ضدّ لبنان من جديد؟ هل هي حرب ضدّ سوريا؟ هل هي حرب ضدّ الفلسطينيّين في غزّة؟ أم أنها حرب على إيران؟ وهل سيملك العرب زمام المبادرة؟ وإلى أن يأتي أوانها فهل سوف يبقون منقسمين بين عرب الاعتدال وعرب التطرّف** [٨٧].

وتفترض المسؤولية من الجميع الخروج من هذه الحالة، ورؤية المخاطر الجدية التي تحيط بالعراق وفلسطين ولبنان والسودان، واليمن، بل بمجمل الوجود والمصير العربي. وهي مخاطر باتت واضحة للعيان ولكل ذي عين ترى وبصيرة تقدر على الفهم والمحاكمة .

---

(٨٦) السيد ولد أباه، مستقبل إسرائيل"، مرجع سبق ذكره، صفحة ٢٢٢-٢٢٣ .

(٨٧) التهديد الإيراني ما زال التهديد الأبرز المتربص بإسرائيل وفقاً لتقرير الاستخبارات العسكرية الأسرائيلية المقدم للحكومة الإسرائيلية بتاريخ ٩-٣-٢٠٠٨ حيث تتفق معه أجهزة الاستخبارات العسكرية والأمنية الإسرائيلية على اعتبار إيران هي التي تمثل التهديد الإستراتيجي المركزي على إسرائيل، راجع: أسعد تلحمي، "تقديرات قائمة للاستخبارات الإسرائيلية: إيران التهديد الأبرز في خمس جبهات"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٠-٣-٢٠٠٨ .

المراجع

الكتب

١- أباه ولد السيد، شفيق منير،" مستقبل إسرائيل"، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠١.

٢- ابراهيم موسى ،" قضايا عربية ودولية معاصرة "، دار المنهل اللبناني، بيروت ٢٠١٠.

٣- أولبرايت مادلين،"مذكرة إلى الرئيس المنتخب"، الدار العربية للعلوم، بيروت،٢٠٠٨.

٤- بشارة عزمي،"العرب في إسرائيل"،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٨.

٥- بيريس شمعون ،"الشرق الأوسط الجديد"، عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٤.

٦- دجيرجيان إدوارد،"الخطر والفرصة"،دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٩.

٧-غانم اسعد، مصطفى مهند،"الفلسطينيون في إسرائيل:"،مركز فلسطين للدراسات الإسرائيلية،رام اللة،٢٠٠٩.

٨- ميلمان يوسي ،" الإسرائيليون الجدد مشهد تفصيلي لمجتمع متغير"، الأهلية للنشر،عمان،١٩٦٣.

٩- نتنياهو بنيامين،" مكان تحت الشمس"، دار الجيل ، طبعة ثالثة،عمان،١٩٩٧.

التقارير

١- تقرير مركز أدفا للمساواة والعدالة الاجتماعية ، "ثمن الاحتلال عبء النزاع الإسرائيلي الفلسطيني صورة ومعطيات شاملة"، تل أبيب ٢٠٠٨ .

٢- التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة ٢٠٠٩، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت،٢٠١٠ .

٣- تقرير مؤسسة راند الأمريكية ،" اليوم التالي في القدس : على طريق تحقيق السلام في الشرق الأوسط" .

٤- تقرير،"إسرائيل على مشارف القرن الـ٢١"،معهد فان لير الإسرائيلي للدراسات الإستراتيجية.

٥- دراسة سلام الربضي،"التاكل في العلاقات التركية الإسرائيلية واستبعاد التغير الاستراتيجي"، مركزالزيتونة للدراسات،بيروت،٢٠١٠.

٦- تقرير الاستخبارات العسكرية الأسرائيلية المقدم للحكومة الإسرائيلية بتاريخ ٩-٣-٢٠٠٨ .

٧- بيان صادر عن اللجنة الوطنية للمتقاعدين العسكريين الأردنية. بتاريخ ٣-٥-٢٠١٠ .

المقالات

١ – سلام الربضي،"القلق الوجودي لنظرية الغالبية اليهودية"،مجلة صوت العروبة، واشنطن، ايلول،٢٠١٠.

٢- باتريك سيل، "حرب إسرائيل المجنونة على غزة"، صحيفة الحياة،بيروت، ٢-١-٢٠٠٩ .

٣- باتريك سيل،"مخاطر العجز العربي أمام تهديدات إسرائيل"، صحيفة الحياة، بيروت، ٥-١-٢٠٠٨ .

٤- طلال سلمان، "قراءة في الحرب الإسرائيلية على غزة"، صحيفة السفير ، بيروت ، ٤-٣-٢٠٠٩ .

٥- عبدالله الأشعل، "فلسطين: من ينهي العلاقة العدمية "، صحيفة الحياة، بيروت، ٥-١- ٢٠٠٩ .

٦- السيد ياسين، "العرب بين التوافق والاختلاف"، صحيفة الحياة، بيروت ، ٨-١-٢٠٠٩ .

٧- محمد جابر الأنصاري،"قراءة في مؤشرات أحداث غزة"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٥-١-٢٠٠٩ .

٨- محمد جابر الانصاري،"لا مخرج للعرب إلا بامتلاك مقومات القوة"،صحيفة الحياة،بيروت، ١٨-١٢-٢٠٠٨ .

٩- أنطوان شلحت، "حرب لبنان الثانية جاءت لكمة في وقتها"، صحيفة الحياة، بيروت، ١١-١-٢٠٠٩ .

١٠- أمال شحادة، "غابي أشكنازي واستعادة هيبة الجيش الإسرائيلي"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٢-٢-٢٠٠٨ .

١١- أسعد تلحمي، "تقديرات قائمة للاستخبارات الإسرائيلية"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٠-٣-٢٠٠٨ .

١٢- يحيى غانم، "حرب وايزمان – بن غوريون في نسختها العربية"، صحيفة الحياة. بيروت، ٢٦-١-٢٠٠٩ .

١٣- مرزوق الحلبي، "المفاوضات السورية الإسرائيلية أبعد من سوريا"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٦-٧-٢٠٠٨ .

١٤- خالد الحروب، "حرب غزة صعود الشرعيات وأفولها"، صحيفة الحياة. بيروت، ١١-١-٢٠٠٩ .

١٥- خليل العناني، "حقائق سياسية غيرتها الحرب على غزة"، صحيفة الحياة، بيروت ، ١٤-١-٢٠٠٩ .

١٦- زياد ادريس، "أسئلة الحرب"، صحيفة الحياة ، بيروت، ١٤-١-٢٠٠٩ .

١٧- أحمد جابر، "بعد غزة: محاذرة الاستبداد النضالي"، صحيفة الحياة، بيروت، ١-٢-٢٠٠٩ .

١٨- نهلة الشهال، "ما تكشفه المواجهة من معطيات"، صحيفة الحياة، بيروت، ١١-١-٢٠٠٩ .

١٩- حلمي موسى،" ٣ الاف يهودي يوقعون نداء العقل"،صحيفة السفير،بيروت ،٣-٥-٢٠١٠ .

٢٠- السيد عليوة، "تداركاً لحرب باردة عربية – عربي"، صحيفة الحياة، بيروت ، ٥-٢-٢٠٠٩ .

٢١- ماجد كيالي، "إشكالية المراهنة على الجماهير والشارع العربي"، صحيفة الحياة، بيروت ، ٢٠-١-٢٠٠٩ .

٢٢- ماجد كيالي،"خيارات حماس بعد الحرب هدنة طوعية أو مقاومة مفتوحة"،صحيفة الحياة،، ٥-٢-٢٠٠٩ .

٢٣- رغيد الصلح، "هل هناك حاجة لمرجعية بديلة من منظمة التحرير؟"، صحيفة الحياة، بيروت، ٥-٢-٢٠٠٩ .

٢٤- عبدالله الأشعل،"فلسطين: من ينهي العلاقة العدمية بين حصار وهدنة وحوار"،الحياة، بيروت،٥-١- ٢٠٠٩ .

٢٥- عزمي شو، "في ما خص مأزق الداخل الفلسطيني"، صحيفة الحياة،بيروت ، ٢٠-١-٢٠٠٩ .

٢٦- ياسين الحاج صالح، "مشروع لقتل الناس جميعاً"، صحيفة الحياة، بيروت، ٤-١-٢٠٠٩ .

٢٧- توفيق المديني، "خطر الدولة الفلسطينية البديلة في الأردن"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٩-١-٢٠٠٩ .

٢٨- راغدة درغام،"إنقاذ إسرائيل وحماس من المأزق يحتاج جهداً عربياً ودولياً"، صحيفة الحياة، ٢-١-٢٠٠٩ .

٢٩- محمد أبو رمان، "الحرب على غزة تعيد بناء الرهانات الأردنية"، صحيفة الحياة، بيروت، ٢١-١-٢٠٠٩ .

٣٠- فالح عبد الجبار، "على هامش الحرب في غزة: الأسئلة الصعب"، صحيفة الحياة، بيروت، ٤-١-٢٠٠٩ .

٣١- صلاح سالم،" خطأ استراتيجية الخيار الوحيد"، صحيفة الحياة، بيروت، ٢٠-٦-٢٠٠٨ .

٣٢- سلامة كيلة، عن هدف هذه الحرب على غزة"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٤-١-٢٠٠٩ .

٣٣- عبدالله الأشعل ،"هل يجوز تطبيع العلاقات العربية مع العراق "، صحيفة الحياة، بيروت، ٢٧-١-٢٠٠٩ .

٣٤- جميل مطر،" حتى لا نلوم أنفسنا"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٢-١-٢٠٠٩ .

٣٥- داود الشريان،"إنه الفرز"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٨-١-٢٠٠٩ .

٣٦- أحمد جابر، "صناعة حصار القضية الفلسطينية"، صحيفة الحياة، بيروت، ١٢-١-٢٠٠٩ .

٣٧- حسن منيمنة، "خطأ حماس وخطيئة الثقافة العربي"، صحيفة الحياة، بيروت، ١١-١-٢٠٠٩ .
٣٩- غالية قباني،"عندما تميز شخصيات يهودية نفسها عن الخطاب الصهيوني"،صحيفة الحياة، ١٩-١-٢٠٠٩ .

الصحف والمجلات

١- صحيفة معاريف الإسرائيلية .
٢- صحيفة يديعوت احرونوت الإسرائيلية .
٣- صحيفة هارتس الإسرائيلية .
٤- صحيفة الرأي، عمان.
٥- صحيفة الحياة ، بيروت .
٦- صحيفة السفير، بيروت.
٧- صحيفة العرب، لندن.
٨- مجلة صوت العروبة، واشنطن.

الانترنت

www.tayyar.org

www.salamalrabadi.blogspot.com

www.aljazeera.net

www.Freearabvoice.org

www.group194.net